مكتبتنا العربية

صدر المجلة
محمد عرفه
من جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٩٩٥

١١٢
مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
بدل الاشتراك
٥٠ في مصر والسودان
٦٠ في الأقطار الاسلامية
٥ ثمن الجزء

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٢ — ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٥٢ — المجلد الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الأزهري
في عهده الجديد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لو لم يكن لأحد في هذه الأرض رسالة قدسية عليا يؤمن بها ، ويعيش لها ، ويتصرف في جميع أموره - الخاصة والعامة - بمبادئها وسننها ، لكان ينبغي أن يكون ذلك لربيب الازهر ، لأنه مسلم يؤمن برسالة الإسلام ، وبها يحيا وعليها يموت .

ولو جاز لمسلم أن يجهل بعضَ شعب الإيمان في رسالة الإسلام ، لكان ينبغي لربيب الازهر أن يكون بمنجاة من هذه النقيصة ، لأنه — ولله الحمد — عالم برسالة الإسلام ، وواقف على تفاصيل شُعبها ، وقد ارتفع به علمه بهما إلى منزلة يحسده عليها كل ذي نعمة في الأرض ، وهي منزلة الوراثة لمقام النبوة ؛ والأزهري من أعرف العارفين بما لهذا المقام من مزايا ، وما على صاحبه من أعباء ومسئوليات .

وللأزهريّ ضمير طالما كان يناجيه في خلواته ، ويتحدث اليه — بين الفينة والفينة — بما حمَّله الإسلام من تلك المسئوليات والأعباء ، منذ تأهل لنصيبه في الوراثة من مقام النبوة ، إلا أن بعض الذين يؤثرون العافية في حاضرهم ، كانوا يجدون لأنفسهم ما تعتذر به إلى ضمائرهم يوم كانت تناجيهم بما عليهم من أعباء الميراث الأعظم ؛ كيف لا والنظام الذي

مكتبتنا العربية

كان قائما فى هذه الناحية من دنيا المسلمين ، أسسه لنا الأغيار على أنه سِلْم للإسلام فى ظاهره بينما هو حرب عليه فى مقوماته وحقائقه الجوهرية وأهدافه الإنسانية القصوى ، فكان ذلك النظام يحاول — بأساليبه المرنة وأنامله الناعمة — أن يحمل الإسلام على أن يبقى قابعاً فى المسجد فلا يخرج منه بمبادئه وسننه إلى ساحات المجتمع ، وأندية الناس ، وأسواق التعامل ، ومدارس التثقيف ، فضلا عن محاكم القضاء ودواوين الحكم . ومن هنا كان بعض حملة رسالة الإسلام يجدون لأنفسهم بعض العذر بأن أمام هذه الرسالة عقبات تعترضها ، وتحول بينهم وبين العمل بها .

ولا ينكر أحد على ورثة الأنبياء أن فيهم طائفة لم تكن تبيح لنفسها الإسراف فى هذه المعاذير ، لأن الله جل وعز وهبهم من مضاء العزيمة وسعة الأفق وحكمة التصرف ما يصل ماضى هذه الأمة بحاضرها ، ويلوح به النور فى أهدافها نحو المستقبل .

والآن وقد أكرم الله الإنسانية بهذا الانقلاب العظيم الذى وقع على مرأى منا ومسمع فى الثلاثة الأشهر الأخيرة ، فإنه ساوى بين العلماء فى موقفهم من رسالة الإسلام . وكما ذهب الانقلاب بذلك النظام الجاهلى الفاسد فقوضه تقويضاً ، فإنه قد ذهب كذلك بالمعاذير التى كان بعض ورثة الأنبياء يعللون بها موقفهم من العمل برسالة الإسلام إذا ناجتهم ضمائرهم بما حمّلهم الله من أعبائها .

ويشاء الله أن تبدأ السنة الدراسية فى معاهدنا الأزهرية ومدارسنا الرسمية وجامعاتنا بعد استتباب هذا الانقلاب المبارك ، فيقف المدرس من أبنائه الطلبة موقف الأمين على أثمن ما ائتمن الله الأمناء عليه فى الأرض ، وإنها لأمانة مزدوجة : أمانة العلم ، وأمانة الجيل . بل أمانة الملة ، وأمانة الوطن .

إن النظام الذى أقامه الأغيار لنا فى الجيل الذى مضى قد صرف النفوس عن تضامن الجماعة وتعاونها بالمبادىء الإنسانية الكريمة ، والسنن الإسلامية الحكيمة ، بما أيقظ من أنانيات ، وما هيج من شهوات ، وما أحدث من عصبيات وحزبيات ، وما ترتب على ذلك من فرقة وتشتت ، حتى صرنا إلى ما ضجت من شناعته الأرض والسماء ، وتحولنا به عن إنسانيتنا المتراحمة إلى مالا يرضاه لنا إلا العدو . وأفدح مامنينا به فى عشرات السنين الأخيرة اختلاف قلوبنا عما أراد لها الإسلام أن تكون عليه ، وقد سرت عدوى ذلك من طبقة إلى طبقة ومن جيل إلى جيل ، حتى وصلنا إلى بداية السنة الدراسية لهذا العام ، وإذا

مكتبتنا العربية

أمانة الجيل الآتى كلها بين يدى المدرس أزهريا كان أو فى المدارس الأخرى والجامعات . وإن الدولة بجميع قواها قائمة الآن بمهمة التطهير ، ومهمتها هذه تتناول آثار ما أفسد الدهر من قلوب الخاصة ، وهاهى ذى قلوب الخاصة نفسها ممن سيتولون بعد سنوات قريبة جميع أمور الأمة — من صغيرها إلى كبيرها — قد وضعها الله أمانة بين أيدى القائمين بالتدريس ، وهم مكلفون من الله ، ومن روح النظام القائم ، ومن حاجة الأمة الملحة ، بأن يعنوا بقلوب تلاميذهم فيعدوها للطهر والفضيلة والشهامة والرجولة ومكارم الأخلاق .

وأول ما يكون ذلك بالقدوة والأسوة . والتلميذ الناشىء يتعلم مما يرى بعينه أكثر مما يتعلم مما يسمع بأذنه ، والدعوة بالقدوة والأسوة هى التى تمت بها أعظم معجزة عرفتها مصر فى ألوف مؤلفة من السنين ، وذلك يوم تحولت عما كانت عليه إلى ما رأت بعينها آثاره الباهرة فى سيرة أبى عبد الله عمرو بن العاص السهمى وصحبه الأكرمين ، بل هى تنازلت حتى عن لغتها إلى لغة هؤلاء الفضلاء الرحماء الطاهرى القلوب العاملين بسنن الأنبياء من إبراهيم إلى موسى فالمسيح فخاتم النبيين وإمام المصلحين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . فبالقدوة تحولت مصر والشام والعراق وشمال إفريقية عن دياناتها إلى دين الإسلام فى عشرات قليلة من السنين ، وبالقدوة وحدت قومياتها بقومية هؤلاء الانسانيين السائرين على قدم الأنبياء ، وانصرفت عن ألسنتها إلى لسانهم ، فكانوا جميعاً أمة الحق والخير ، وبالقدوة يستطيع مدرسو الأزهر والمدارس الأخرى كلها أن يطهروا قلوب أبنائهم رجال الجيل الآتى ، فيحدثوا فيها انقلابا — كالانقلاب العسكرى — فى أقل من سنة ، بل من الحصة الأولى التى يلقون فيها أبناءهم الطلبة ويقطعون معهم العهد أمام الله على أننا عزمنا على أن نكون أمة صدق وحياء وجد وعمل ، تقيم الحق حيثما يكون ، وتعين على الخير ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى (تلميذ أميرى المؤمنين عثمان ابن عفان وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب) : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن — كعثمان بن عفان وعبدالله ابن مسعود وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً »

مكتبتنا العربية

وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة يوم سألها التابعون عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » ، أى أنه وأصحابه كانوا كلما حملت رحمة الله إلى إنسانية الأرض آية فى تقويم الأخلاق وتهذيبها تخلقوا بها بالعمل ، حتى تكون خلقهم الأصيل ، وحتى تصدر أعمالهم كلها عن ذلك الخلق كما أراده الله لعباده . فالعلم حجة على صاحبه حتى يصحبه العمل ، والعلم بلا عمل أضر على صاحبه من الجهل البسيط ، ولذلك استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . ولا ينتفع التلميذ بمعرفة المبادىء إلى درجة أن يعمل بها وتكون سنة له فى الحياة إلا إذا تلقى ذلك بالقدوة ، ورأى تطبيقه وتنفيذه فى تصرفات أبيه فى الروح ، وهو المعلم الذى ائتمنه الله على فلذات أكباد الناس ، وعلقت الدولة آمالها عليهم فى إقامة الحق والخير للوطن ، بعد أن تستريح هى من عناء التطهير فيما أفسدته الأجيال التى عاصرناها والتى سبقتنا .

إن القيام بمهمة « التطهير » له ناحية رسمية تتعلق بموظفى الحكومة والذين يتصل سلطانهم ونشاطهم بأمانات الدولة والمصالح العامة ، وهؤلاء قد رسمت الدولة خطتها الحكيمة فى تمحيصهم ، واستخلاص ذوى الأيدى الطاهرة منهم ليحملوا بها تلك الأمانات ، وليؤدوا بها ما نيط بهم من مصالح . وهنالك ناحية أخرى للتطهير تتصل بقلوب الأمة ونفوسها ، والقيامُ بذلك من واجب ورثة الأنبياء حيثما كانوا وحيثما يكون الناس . فالعالم المسلم إذا بدأ فطهر قلبه ، وأخلص لله نفسه ومداركه وجوارحه ، جعل الله له على قلوب الناس ومداركهم وجوارحهم سلطاناً يصوغها به على ما يرضى الله فى كل ما يصدر عنه من توجيه وإرشاد ، وأخطر من ذلك سلطان المدرس الأزهرىّ على قلوب أبنائه الطلبة ونفوسهم ومداركهم ، وجوارحهم ، لأن سلطانه مستمد من هدى الله ، ومكتسب من مواريث النبوة ، وما أعظمه من سلطان ، وما أغلاها من مواريث !

إنها مهمة خطيرة ، وإذا كان المدرس فى غير المعاهد الأزهرية مكلفاً بها من الدولة ، ومن نداء الوطن ، فالمدرس الأزهرى مكلف بمثل ذلك وبما هو أعظم منه ، من الدولة ومن هو أعظم من الدولة ، ومن الوطن ومن هو أعز وأجل من الوطن ، وهو الله تباركت آلاؤه وعز سلطانه .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

تحديد الملكية في الإسلام

لقد تغيرت أوضاع ، وتبدلت نُظم ، وسُنت قوانين في هذا العهد الجديد ، ومن القوانين التي سُنت . قانون تحديد الملكية الزراعية ، والناس يتساءلون عن رأى الفقه الإسلامي فيه وهل في ذلك شيء سلف عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ؟

ونحن سنبين هنا أن الإسلام يمنع التفاوت الكثير في الأرض الزراعية ويحرص على ألا تتجمع الأرض في جانب من الأمة فيكون فيه الغنى والعزة والقوة ، وتحرمها الجوانب الأخرى فيكون فيها الفقر والعجز والضعف ، وما وقع في مصر إلى الآن من الملكيات الكبيرة حتى صار رجل واحد يملك آلاف الأفدنة وعنده من عبيد الأرض مثل هذا العدد يزرعونها له ويؤدون له غلاتها ، لم يكن بإذن الإسلام ، وعلى الرغم من تعاليمه وقع .

سوء توزيع الأرضين مما يمقته الإسلام ويقي الأمة إياه قبل أن يقع ، لأن الوقاية خير من العلاج ، ويعالجه إذا وقع . وقد عالجه الإسلام قديما بمثل ما عالجته الدولة اليوم فالتاريخ يعيد نفسه .

قد يستغرب السامع هذا الذي أقوله من أن الإسلام نزع بعض الأرضين من أيدى ما لكيها بعد أن رآها تتجمع في جانب من الأمة وتصفر منها جوانب أخرى ، ومن أنه منع ذلك قبل أن يقع ، ولكن الغرابة ستزول عند ما نورد من الآثار مايدل على ذلك .

روى عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص يوم افتتح العراق « أما بعد فقد بلغني كتابك أن الناس قد سألوا أن تقسم بينهم غنائمهم وما أفاء الله عليهم ، فانظر ما أجلبوا به عليك في العسكر من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنا لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء [1] » .

علم من قواعد الإسلام ومن عمل الرسول أن ما غنمه المسلمون من مال وأرض يقسم أربعة أخماسه على المجاهدين ، وقد قسم رسول الله أربعة أخماس أرض خيبر على المجاهدين

(١) ص ٥٩ كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، و ص ٢٤ كتاب الخراج لأبي يوسف ، و ص ٢٧ و ٤٨ كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي . ويزيد بن أبي حبيب راوي هذا النص هو عالم مصر وإمامها . قال فيه الليث بن سعد : « يزيد عالمنا وسيدنا » توفي سنة ١٢٨ .

مكتبتنا العربية

فلما فتح المسلمون العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص سأل المقاتلون سعدا نصيبهم فى الأرض وطلبوا أربعة أخماسها فنعه عمر وقال : أما ما غنموه من منقول فاقسمه بينهم وأما الأرض والأنهار فلا تقسمها واتركها بأيدى عمالها ليزرعوها ويؤدوا خراجا يقسم على المسلمين . وعلل عمر ذلك بأنه لو قسمها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء فجعلها باقية على حالها يملكها المسلمون جميعا وقسم خراجها بين المسلمين مخافة أن يحوزها المقاتلون فلا يبقى شيء لمن يأتى بعدهم من المسلمين . فأنت تراه قد منع من تكدس الأرض فى جانب من المسلمين وإخلاء الجانب الآخر منها قبل أن يقع .

وورد هذا المعنى فى حديث آخر عن ابراهيم التميمى قال : لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر قسمه بيننا فإنا افتتحناه عنوة قال فأبى وقال فما لمن جاء بعدكم من المسلمين وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم فى المياه . قال فأقر أهل السواد فى أرضهم وضرب على رؤسهم الجزية وعلى أراضيهم « الطسق » أى الخراج ولم يقسم بينهم [1] » .

ولم يكن ذلك بأرض السواد بالعراق فحسب بل وقع مثله فى أرض مصر نفسها وحدث سفيان بن وهب الخولانى قال : لما افتتحت مصر بغير عهد ، قام الزبير . فقال : يا عمرو ابن العاص اقسمها . فقال عمرو : لا أقسمها . فقال الزبير : لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر . فقال عمرو لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . فكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن دعها حتى يغزو منها حبل الحبلة » . قال أبو عبيد القاسم بن سلام الذى روى هذا الحديث فى كتابه الأموال : أراه أراد أن تكون فيئا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن فتكون قوة لهم على عدوهم [2] .

فهذه روايات متضافرة على معنى واحد ، وهو أن عمر منع المقاتلة ما كانوا يرونه حقا لهم بمقتضى الكتاب وعمل الرسول من قسمة أربعة أخماسها عليهم لئلا يحوزها الحاضرون ولا يبقى منها شيء لمن يأتى بعدهم .

ولم ينفرد بذلك عمر ، بل روى مثله عن على ومعاذ بن جبل ، روى عن عبد الله ابن قيس الهمدانى قال : قدم عمر الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين . فقال له معاذ : والله إذن ليكونن ما تكره إنك إن قسمتها صار الريع العظيم فى أيدى القوم ، ثم يبيدون

---

(١) ص ٥٧ كتاب الاموال لابى عبيد . (٢) ص ٥٨ المصدر نفسه .

مكتبتنا العربية

فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً وهم لا يجدون شيئاً فانظر أمرا يسع أولهم وآخرهم »[١] .

وأشار بمثل ذلك على حين استشاره عمر ، فهؤلاء النفر من جلة الصحابة : عمر وعلى ومعاذ ابن جبل ، اتفقوا على منع المقاتلة عن قسمة الأرض بينهم رعايه لمصلحة بقية المسلمين لئلا يحوزها المقاتلة ولا يبقى شيء لمن يجيء بعدهم وقد وافقهم الصحابة وجرى العمل عليه فى أيام عمر والخلفاء من بعده فقد منعوا التفاوت الشديد فى امتلاك الأرض قبل أن يقع .

وأما أنه عالجه بعد أن وقع ، فقد ورد عن قيس بن أبى حازم قال : كانت بجيلة (وهى قبيلة من المسلمين) ربع الناس يوم القادسية ، فجعل لهم عمر ربع السواد ، فأخذوه سنتين أو ثلاثا. فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله البجلى فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أنى قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين دينارا »[٢] .

وورد أن امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز قالت لعمر : يا أمير المؤمنين إن أبى هلك وسهمه ثابت فى السواد وإنى لم أسلم . فقال لها يا أم كرز إن قومك قد صنعوا ما قد علمت - أى من تسليم الأرض - قالت : إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فإنى لست أسلم حتى تحملنى على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ كفى ذهبا . ففعل عمر ذلك ، فكانت الدنانير نحوا من ثمانين ديناراً »[٣] .

وحادثة قبيلة بجيلة تشبه ذلك القانون الذى أصدرته الدولة بتحديد الملكية الزراعية فهما يجتمعان فى أنهما أخذا الأرض ممن كانت تحت أيديهم بعوض يؤدى لهم نظرا لمصلحة المجتمع ، فقد قال عمر لولا أنى قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ؛ وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم مع شيء من الفوارق :

منها أن عمر نزع الأرض كلها . والقانون نزع ما زاد على مائتى فدان وأبقى له مائتين ، وهذا الفرق لا يؤثر لأنه إذا جاز أن تنزع الأرض كلها ممن هى بيده ، فلأن يجوز أن ينزع بعضها ويبقى بعضها من باب أولى ، ومنها أن عمر جعلها وقفاً على المسلمين يزرعها من يزرعها على خراج يؤديه يصرف على المسلمين ، أما القانون فقد ملكها لغيرهم من الفقراء ، ومنها أن عمر فعل ذلك والعهد قريب . والتراحم والإيثار بين المسلمين ، وهذا يجعل مهمته سهلة ، أما القانون فيفعل ذلك وقد بعد العهد وفنى عليه الكبير ونشأ عليه الصغير ، وقد تغيرت

---

(١) ص ٥٩ المصدر نفسه .

(٢) ص ٦١ كتاب الأموال ، و ٣١ الخراج لأبى يوسف .

(٣) ص ٦٢ كتاب الأموال .

مكتبتنا العربية

نظرة المسلمين بعضهم لبعض فصارت نظرة استغلال لا نظرة أخوة وتعاون ، وهذا ما يجعل المهمة شاقة ، ولعل فى هذا التدرج الذى جعل تنفيذه على خمس سنوات ما يخفف من وقعه ، ولعله إذا فهم الإقطاعيون أن هذه الكظة كانت تضر بهم ولا تنفعهم وكانت تحرم كثيراً من إخوانهم ما خلقه الله لهم ، خف وقعه وزال ألمه .

تأملوا فى هاته الوقائع التى تتعلق بالأرض تتبينوا المبادىء الإسلامية من خلالها ، تلك المبادىء التى غرست فى نفوس المسلمين الأولين وظهرت منهم أعمالا حكيمة وقضايا عادلة .

يرى الإسلام أن المجتمع الإسلامى كأسرة واحدة ، وليس من العدل أن يختص بعض الأسرة بالأرض ويحرم الباقون . وقد فهم ذلك عمر ، بل إنه لم ينظر لمن حضر فقط بل نظر للحاضر ولمن تلده الأرحام . انظر إليه حين يقول : فما لمن يأتى بعد ؟ كره أن يحوز الأرض المقاتلة الذين بذلوا دماءهم وأموالهم فى الجهاد حتى دانت لهم الأرض فيولد من يولد ويدخل فى الإسلام من يدخل فيجد الأرض قد حازها من حازها ولا يجد ما يملكه .

ماذا يكون حكم عمر حين يجد قوما لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب إنما ملكوها إقطاعا غير شرعى أو ورثوها عمن ملكها كذلك ، وحازوها ومنعوها عن بقية المسلمين وقد أساءوا التصرف فيها فلم يراعوا حق الله ولا حق الفقراء فى هذه الأموال .

وقد بقى أن يقال : كيف يخالف عمر عمل رسول الله فى خيبر من قسمة الأرض أخماساً وجعل الخمس لله وللرسول والفقراء ، وأربعة أخماسها فى المقاتلة ، ويذهب إلى حرمانهم وجعلها ملكا للأمة يزرعها من يزرعها على خراج يؤدى ينفق منه على المسلمين ؟ قلنا فى ذلك وجوه :

منها أن عمر ربما علم أن ما فعله الرسول كان على التخيير لا على طريق الإلزام .

ومنها أن عمر تأول آية الفىء على ما ذهب إليه وهى قوله :

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك

مكتبتنا العربية

هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

وقد قال حين ذكر الأموال وأصنافها والآيات الدالة عليها : استوعبت هذه الآية الناس .

ولعل عمر ذهب إلى المصلحة المرسلة ، ورفع الضرر ، وقد علل بذلك فيما روينا عنه .

ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يعرف الأغراض العظمى للإسلام ويحافظ عليها ، وقد كان يعلم أن الشريعة عدل وإنصاف فحيث وجد العدل والانصاف فثم شرع الله . وربما رأى فى النص والحادثة تقييداً بالزمان والمصلحة وما لابسها من حوادث ، وكان يراعى المصلحة ورفع الضرر عن الأمة ، ولا أعلم ضررا أبلغ من التفاوت الكثير فى الملكية الزراعية . وبحسبنا أن ننظر إلى آثاره السيئة عندنا فقد جعل فى الأمة طبقتين طبقة أصحاب الأرض المالكين وفيهم الغنى والقوة ، وفيهم ما ينتجه الغنى من الترف والكبر والأشر والبطر والاستعلاء وغمط الناس . وطبقة الفلاحين وهم الكثرة الكاثرة من الأمة وفيهم الفقر والحاجة ، وتتبعه آثاره من الجهل والمرض والذلة والضعة والمهانة والاستخذاء وخلق العبيد من الجبن والخور والصغار .

ومثل هؤلاء لا يأبون الضيم ولا يحمون الذمار ولا يدفعون العار .

وإنما تولدت فيهم هذه الرذائل وما يتبعها لأنهم يرون أن رزقهم وحياتهم وعزهم وذلهم بيد صاحب الأرض إن شاء أبقاهم وإن شاء أخرجهم فرمى بهم إلى الطرقات حيث الجوع والعرى والموت فيذلون له ويخضعون .

وهذه النفوس المريضة لا ينفع فيها علاج ، لأنه كلما رفع المربون والعلماء من نفوسهم ، وراضوهم على العزة ، طغى على ذلك كله ما هم فيه من حالة اجتماعية فاسدة ومن وضع يجعلهم محتاجين لمخلوق مثلهم ، ماذا تنفع العظات والعبر إذا كانت تبنى والواقع يهدم وإذا كانت تدعو الى العزة وواقع الحياة يدعو للذلة ؟ !

أما الآن فإننا نأمل أن يصلح الله بتحديد الملكية الحالة الاجتماعية ، وأن يحقق الله به كثيرا من العدل فى الجماعة ، وأن يرفع مستوى المعيشة لكثير من الفلاحين فيتعلموا بعد جهل ، ويصحوا بعد مرض ، ويأمنوا بعد خوف ، وأن يشعروا بالعزة والقوة والحرية ، وأن تربى فيهم اخلاق الأحرار من الغضب للحق ، والإباء للظلم ، والكراهية للاستعباد . فإذا استنصروا نصروا ، وإذا استنفروا نفروا ، وإذا أتاهم عدو مغير طاروا إليه زرافات ووحدانا .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

مشيخة الأزهر الشريف

فى أكمل ما شهدناه من عهودنا

إذا أراد الله بطبقة من أهل هذه الملة الإسلامية خيراً ، هيأ لمستقبلهم القريب الحكم الصالح ، ويسر لهم الإمام الذى انطوت سيرته النقية الطاهرة فى جميع أدوارها على ما تستقيم لهم به القدوة ، وتحسن به الأسوة ، وتشيع به عدوى الإخلاص لله عز وجل فى السر والعلن والقول والعمل .

وأحسب أن طلبة الأزهر الشريف لهذا العهد سيكون منهم لهذه الملة فى مستقبلها القريب الخير الكثير ، ولذلك كان من حظهم أن قيض الله لهم الحكومة الصالحة التى تتحرى للولاية أكفاءها ، كما قيض لهم القدوة والأسوة فى سيرة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مد الله فى عمره وأدام النفع به .

إنهم الآن ليسوا أمام مركز رسمى تولاه كفؤه بالعلم والسابقة والصلاح فحسب ، بل هم أمام مَثَلٍ أعلى للمسلم الكامل الذى ابتدأ حياته بنية الكفاح عن الإسلام وأهله ، والاضطلاع برسالته ، وتحمُّلِ أماناته كاملة وافية . و « النيّة » هى الإبرة المغناطيسية التى يتوجه بها المسلم إلى هدفه من الحياة . ولذلك قال معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » ، والحياة وتصرّفات المرء باتجاهاته فى جميع أدوارها هى جماع الأعمال ، فهى أحوج إلى النية الوثيقة الثابتة الصادقة ليكون ما يصدر عن الإنسان من الأعمال فى حياته تبعاً لها لا يحيد عنها مهما غالبته الظروف ، ولا ينحرف عن اتجاهها ما استطاع ، وان انحرفت به الأهواء والمؤثرات . وطالب العلم الإسلامى إذا نوى من بدء حياته أن يقتصر فى حياته على مطالب العيش ومتاع الدنيا بقى هدفه محدداً بهذا النطاق الضيق ، وعاش على هامش الحياة عيشة تتناسب مع نيته ، وكان فى نظر نفسه - ثم فى أنظار الناس - موزونا بهذا المقدار ، لا ينخدع به الناس بأكثر من ذلك ، ولا يستطيع أحد أن يخدعه عن نفسه بأنها فوق ذلك . أما إذا نوى طالب العلم الإسلامى أن يعيش مكافحاً عن حقائق الإسلام - مهما كانت - وعن حقوق المسلمين حيثما كانوا ، فان حياته كلها تصبح حينئذ

مكتبتنا العربية

حياة عبادة ، ويكون قدره عند الخالق والخلق متناسباً مع قدر النية القدسية التى عاش على ضوئها ، وعوّل على السير فى الحياة بتوجيهها .

يقول فضيلة الأستاذ الأكبر شيخنا السيد محمد الخضر حسين متعه الله بالقوة والعافية والتوفيق :

ولولا ارتياحى للنضال عن الهدى لفتشت عن وادٍ أعيش به وحدى

ونحن تلاميذه . ومعنا إخواننا من طلبة الجامع الأزهر وكلياته ومعاهده الذين يعدون بالالوف ، ينبغى لنا أن يكون لنا فى حياة شيخنا القدوة الصالحة ، وأن تكون لنا فيه الأسوة الحسنة ، فيكون أول ما نرتاح إليه هو النضال عن الهدى ، ولا يناضل عن الهدى إلا الذى تحرى معرفته ، وتتبع ما جل أو دق من علوم أئمته وتراث علمائه وجعل من نفسه حلقة متواضعة فى سلسلته الذهبية التى أولها عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ، وآخرها عند شيخنا الجليل إمام الهدى السيد محمد الخضر حسين بارك الله فى جهاده .

إنه أحسن النية لله منذ البداية فاتخذ منها إبرة المغناطيس التى توجه سفينة حياته فى سيرها ، فما تعارضت دنياه وآخرته إلا اختار ما يبقى له فى آخرته على ما هو زائل من بهرج دنياه . ومن عادة الله فيمن يؤثر الآجلة على العاجلة أن يجعله راضياً عن نصيبه فى دنياه ، وقد يعلن الله كرامته لأوليائه بمكافأتهم حتى فى إعلان مقامهم فى الدنيا جزاء إيثارهم ما يرضاه لهم فى يوم الدين .

أيها الطلبة الأزهريون ، إنكم تستقبلون فى أول سنتكم الدراسية المباركة إن شاء الله مناهج لتثقيف عقولكم بعلوم الشريعة التى تقوم عليها رسالة دينكم ، وما يعين عليها من علوم العربية والسنن الكونية . ثم إنكم تستقبلون فى هذا العام ما لا يفترق عن هذا ، أعنى به خلاصته ، وثمرته الناضجة ، وغايته العليا ، وهو الأخلاق المحمدية ممثلة بسجايا أستاذنا الأكبر وسيرته فى أكثر من سبعين عاماً ، وكفاحه فى سبيل حقائق الإسلام وحقوق المسلمين وتستقبلون مع هذا وهذا ، عهداً يتحرى الحق والخير ، والحق والخير جناحا الإسلام ومادة رسالته . فهنيئاً لكم سنتكم الجديدة ، وبارك الله لنا ولكم بحياة شيخنا وشيخكم ، وكونوا فى عهد الحق والخير من خاصة أهلهما ، ومن أنشط الأعوان على تأهيل هذا الشعب للإفادة منهما ، وبذلك نكون إن شاء الله أمة صالحة ، وبذلك نكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، والله يتولى الصالحين .

مكتبتنا العربية



حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
السيد محمد الخضر حسين

طلعت جريدة الأهرام فى صباح يوم الأربعاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧١
(١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢) وفى صدرها المقال الآتى :

كانت مفاجأة حين خرج ثلاثة من حضرات الوزراء : هم السادة فتحى رضوان وأحمد حسن الباقورى وعبد العزيز على ، من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ، وتوجهوا إلى جهة لم يشاءوا ولم يشأ أحدهم أن يذكر عنها شيئاً ، ولكن الصحفيين رأوا أن يقتفوا أثرهم ، ولشدَّ ما كانت دهشتهم بالغة حينما رأوهم يدخلون بيتاً صغيراً من البيوت الواقعة فى شارع خيرت ، ويطرقون باب شقة متواضعة يسكنها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو جماعة كبار العلماء ورئيس تحرير مجلة الأزهر سابقاً . ولئن كانت هذه المفاجأة قد أدهشت الصحفيين ، فإن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين كان أكثر منهم دهشة حين تحدث إليه الوزراء الثلاثة وعرضوا عليه مشيخة الأزهر باسم مجلس الوزراء واسم الرئيس اللواء محمد نجيب .

ويقول مندوب « الأهرام » الخاص : إن فضيلة الشيخ قد قبل منصب المشيخة الجليلة ورجا أن يوفق فى تحمل أعبائها .

وقد أردت أن أقف من فضيلته على ما إذا كان له برنامج معين ، فقال : إنها مفاجأة لم أتمكن حيالها من أن أضع برنامجاً معيناً أو أرسم سياسة خاصة .

فسألت فضيلته : وهل لكم رأى معين فى كبار علماء الأزهر الذين يشغلون مناصب هامة ؟

فقال : ليس لى رأى معين فى واحد من حضراتهم ، وكلهم موضع إجلالى واحترامى وتقديرى

فقلت : وما رأيكم فى المطلب الخاص بإقصاء أربعة من كبار العلماء الرسميين الأزهريين عن مناصبهم ؟

فقال وهو يبتسم : طبعاً لن يكون هناك إقصاء ، ومن رأيى أن تؤخذ المسائل بالرفق واللين

قلت : ومتى أخذتم الجنسية المصرية ؟

مكتبتنا العربية

فقال فضيلته : أخذتها فى نحو سنة ١٩٣٨

قلت : إن العالم الإسلامى يسره كثيراً أن تسند مشيخة الأزهر إلى رجل جليل مثلكم بعيد عن التيارات المختلفة ، فهل لكم كلمة تتوجهون بها إلى هذا العالم فى هذه المناسبة ؟

فقال : إن الكلمة التى أتوجه بها إلى العالم الإسلامى هى أننى أرجو المعونة من الله أن يحقق أمل المسلمين فى الأزهر الشريف .

قلت : وهل تقصدون غداً (اليوم) إلى مشيخة الأزهر ؟

فقال : إن فضيلة السيد أحمد حسن الباقورى سوف يحضر إلى غداً (اليوم) لأتوجه معه إلى دار الرياسة حيث أقابل الرئيس اللواء محمد نجيب .

من تاريخ حياته :

وقد ولد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين فى بلدة « نفطة » من أعمال تونس فى سنة ١٢٩٣ هجرية ، فعمره الآن ٧٨ عاماً ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل إلى تونس والتحق بجامعة الزيتونة وحصل منها على شهادة العالمية فى العلوم الدينية والعربية .

وقد استهل فضيلته حياته العملية بالعمل فى الصحافة حيث أنشأ مجلة « السعادة » وراح يدبج فيها الفصول القيمة يعالج بها الشئون الدينية والأدبية .

ثم تولى القضاء فى بلدة « بنزرت » والبلاد المجاورة لها ، ولبث يمارس القضاء حتى سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم عين مدرساً للعلوم الدينية والعربية فى جامعة الزيتونة ، وكذلك تولى التدريس فى المدرسة الصادقية وهى المدرسة الثانوية الوحيدة فى تونس

يحكم عليه بالإعدام !

وقد اشتهر بعدائه للسياسة الفرنسية إذ كان يهاجمها فى مجلته ، وكان يبث روح العداء لها فى تلاميذه ، يريد بذلك أن يغرس فيهم الروح الوطنية والحرية الإنسانية التى يدعو إليها الإسلام ، فحقد عليه ساسة الفرنسيين وأكنوا له الحفيظة ، ودبروا له مكيدة سياسية قدموه من أجلها إلى المحاكمة حيث حكم عليه غيابياً بالإعدام ، فهاجر فضيلته إلى الشام ومعه عائلته وفيها تولى تدريس العلوم العربية والدينية فى المدرسة السلطانية .

وقد أوفده أنور باشا وزير الحربية التركية يومئذ إلى ألمانيا فى مهمة سياسية ، فقضى فيها نحو تسعة أشهر ، رجع بعدها إلى الشام ، وتولى التدريس فى تلك المدرسة ، حتى رؤى الانتفاع به فى وزارة الحربية التركية فعين محرراً عربياً فى ديوان تلك الوزارة .

مكتبتنا العربية

شيخ الأزهر يتحدث إلى الأهرام

وكتب مندوب جريدة « الأهرام » الخاص فى عددها الصادر يوم الخميس ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢ هـ (٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢) يقول :

لا يزال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يحتفظ ببساطته فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، ومع أنه يشغل الآن منصباً دينيا خطيراً ، فلا تزال هذه البساطة التى درج عليها وألفها الناس عنه منذ وفد إلى مصر تلازمه ، إن مجلسه لا يزال كما كان ، يغشاه كل محب له وكل مريد للعلم كيفما كان مظهره ومخبره ، ولقد أردت أن أقف على آراء فضيلته فى طائفة من المشاكل الأزهرية التى تواجه المسئولين عادة فى مستهل كل عام دراسى ، ولما أفضيت إلى فضيلته بهذه الرغبة لم يشعر بالحرج الذى يشعر به الرسميون والمسئولون عادة فى مثل هذا الموقف ، بل آثر أن يكون صريحاً على سجيته ، واضحاً كما عرفته منذ نيف وعشرين عاما .

ورؤى مرة أخرى أن يعود إلى ألمانيا فى مهمة سياسية كذلك . فذهب إليها وقضى فيها نحو سبعة أشهر . ولما رجع إلى تركيا رأى ولاة الأمور فيها - بالاتفاق معه - أن يعود إلى الشام لمتابعة دروسه هناك ، ولكنه حين رجع إلى هذه البلاد وجد الفرنسيين قد احتلوها ، فهرب إلى مصر لاجئاً سياسياً ، وظل فيها منذ سنة ١٩٢٢ م يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس حتى سنة ١٩٣١ م إذ رأى فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى أن ينتفع به فى تحرير مجلة الأزهر ، وكانت تسمى وقتئذ « نور الإسلام » فعينه رئيساً لتحريرها وقد لبث فى هذه الوظيفة حتى عين فيها الأستاذ محمد فريد وجدى ، فانتقل فضيلته إلى رياسة تحرير مجلة « لواء الإسلام » التى يصدرها الأستاذ أحمد حمزة وزير التموين السابق .

فى جماعة كبار العلماء :

وقد قدم فضيلته رسالة علمية [1] نال بها العضوية فى جماعة كبار العلماء .

---

(١) هى رسالة « القياس فى اللغة العربية » نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة .

مكتبتنا العربية

شيخ الأزهر يتحدث إلى الأهرام

وكتب مندوب جريدة « الأهرام » الخاص فى عددها الصادر يوم الخميس ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢ هـ (٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢) يقول :

لا يزال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يحتفظ ببساطته فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، ومع أنه يشغل الآن منصباً دينيا خطيراً ، فلا تزال هذه البساطة التى درج عليها وألفها الناس عنه منذ وفد إلى مصر تلازمه ، إن مجلسه لا يزال كما كان ، يغشاه كل محب له وكل مريد للعلم كيفما كان مظهره ومخبره ، ولقد أردت أن أقف على آراء فضيلته فى طائفة من المشاكل الأزهرية التى تواجه المسئولين عادة فى مستهل كل عام دراسى ، ولما أفضيت إلى فضيلته بهذه الرغبة لم يشعر بالحرج الذى يشعر به الرسميون والمسئولون عادة فى مثل هذا الموقف ، بل آثر أن يكون صريحاً على سجيته ، واضحاً كما عرفته منذ نيف وعشرين عاما .

ورؤى مرة أخرى أن يعود إلى ألمانيا فى مهمة سياسية كذلك . فذهب إليها وقضى فيها نحو سبعة أشهر . ولما رجع إلى تركيا رأى ولاة الأمور فيها - بالاتفاق معه - أن يعود إلى الشام لمتابعة دروسه هناك ، ولكنه حين رجع إلى هذه البلاد وجد الفرنسيين قد احتلوها ، فهرب إلى مصر لاجئاً سياسياً ، وظل فيها منذ سنة ١٩٢٢ م يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس حتى سنة ١٩٣١ م إذ رأى فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى أن ينتفع به فى تحرير مجلة الأزهر ، وكانت تسمى وقتئذ « نور الإسلام » فعينه رئيساً لتحريرها وقد لبث فى هذه الوظيفة حتى عين فيها الأستاذ محمد فريد وجدى ، فانتقل فضيلته إلى رياسة تحرير مجلة « لواء الإسلام » التى يصدرها الأستاذ أحمد حمزة وزير التموين السابق .

فى جماعة كبار العلماء :

وقد قدم فضيلته رسالة علمية [1] نال بها العضوية فى جماعة كبار العلماء .

---

(١) هى رسالة « القياس فى اللغة العربية » نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة .

مكتبتنا العربية

تنظيم البعوث الإسلامية :

قلت : إن البعوث الإسلامية لا تزال قائمة ، ولعل هذه المشكلة تكون هامة إذا عرفنا أن هذه البعوث إنما هي أداة صالحة للدعاية الإسلامية لمصر فى مختلف الأمم التى تدين بالإسلام . فهل تزمعون فضيلتكم أن تعملوا على أن تكون هذه البعوث الإسلامية فى نظامها الحاضر وفى طريقه إعدادها متمشية مع ما نرجوه منها وما نؤمله فيها ؟

فقال فضيلته :

لا شك أننى أقدر الرسالة التى يصح أن يضطلع بها طلاب البعوث الإسلامية فى الأزهر تقديراً خاصاً ، فهم رسلنا لدى أممهم ، وهم ألسنتنا المعبرة عن أمانينا وآمالنا . بل لا أبالغ إذا قلت : إنهم المرايا التى تصورنا عند أممهم وشعوبهم بما فينا من خصائص ومزايا ومناقب أصدق تصوير . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن العناية بهم وبإعدادهم يجب أن تشغل حيزاً كبيراً من أوقاتنا . إننى أعنى فى هذه الأيام بوضع نظام خاص بإعدادهم إعداداً قوياً يمكنهم من أن يؤدوا رسالة الخير والسلام على خير الوجوه . إننى أعد الأزهر فى مصر بمنزلة الكعبة الشريفة التى يحج إليها المسلمون على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ليؤدوا فريضة دينية ، والواجب يقتضى أن نعنى بكل ما يعود بالخير على الأزهر ، لأنه يعود بالخير نفسه على مصر وعلى الإسلام . ولا أذيع سرا إذا قلت إننى كنت أسمع الكثير من الأنباء التى تحز فى نفسى وتؤلمنى ، لأنها كانت تمثل العلاقة بين طالب البعوث وشيخ رواقه تمثيلا لا أحبه ولا أرضاه . لذلك عنيت كل العناية بأن أعمل على أن تقوم بين الاثنين علاقة روحية قوامها الحب والمودة والإخاء والخير ، وأعتقد أن هذه العلاقة سوف تقوم وتتوطد منذ الآن ، فلا أعود أسمع مرة أخرى أن شيخاً ظلم تلميذاً له ، أو أن تلميذاً لم يوقر شيخه التوقير الذى يليق به .

المكتبة الأزهرية :

قلت : والمكتبة الأزهرية . ألا ترى فضيلتكم أنها اسم على غير مسمى ، وعنوان لا موضوع له . ؟ وما هى الفائدة من أن يقال « المكتبة الأزهرية » أى المكتبة التى تمثل أقدم جامعة دينية فى العالم ، ثم تعطل وظيفتها فلا ينتفع بها طالب ولا عالم ، ولا أجنبى ولا وطنى ، ولم لا تكون مكتبة عامة على غرار دار الكتب . ؟ ولم لا تنشأ فيها غرفة للمطالعة وأخرى للبحوث والدراسات ؟ !

مكتبتنا العربية

فقال فضيلته :

إن من الحقائق الثابتة أن المكتبة الأزهرية تشغل مكانا غير لائق بها ، ويسمح لطلاب العلم والبحث والمعرفة بالانتفاع من كنوزها النفيسة وذخائرها العلمية التى لا يوجد لها مثيل فى جميع مكتبات العالم ، إنها تشتمل على آلاف من الموسوعات العلمية والدينية ذات القيمة الخاصة فى عالم البحث والمعرفة ، وإن الأجانب الذين يترددون على الأزهر من العلماء والمستشرقين لا يعرفون كيف ينتفعون بما تشتمل عليه من النفائس والذخائر . ولذلك فإنى أعمل الآن على تدبير مكان صالح لها ، على أن تتوافر فى هذا المكان الشروط التى يجب أن تتوافر فى مكتبة تاريخية عامة تكاد تكون عالمية كمكتبة الأزهر ، فيكون فيها نظام الإعارة على نظام جديد ، وأن ينتفع بها الطالب والعالم والباحث على الطريقة العلمية الصحيحة . وقد أفرغ من دراسة هذا النظام فى وقت قريب إن شاء الله . وسوف يكون من شأن هذا النظام أن توحد المكتبات الأزهرية التى توجد فى مختلف الأروقة وتجمع كلها فى المكتبة الأزهرية الكبرى ، فيشرف عليها مدير واحد ، ويكون نظامها واحدا .

المعاهـــد الدينية :

قلت : أعرف أن فضيلتكم تشتغلون الآن فى إعداد حركة تنقلات بين أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد ، فهل انتهيتم إلى رأى فى هذا الموضوع الهام وقد أصبحنا فى مستهل السنة الدراسية ؟

قال فضيلته :

إنى أعتقد أن شيخ المعهد فى الأقليم هو مظهره ورأسه المدبر ، وعنوانه بين مختلف الطوائف والطبقات فى هذا الإقليم ، وأعتقد أن العناية باختيار شيخ المعهد تحتاج إلى البحث عن صفات وشروط خاصة فلا يصح أن يختار شيخ المعهد بدرجته أو أقدميته ، وإنما يجب أن يختار بكفايته وأهليته ومكانته ، سواء من ناحية العلم والخلق والكرامة ، أو من أية ناحية أخرى . ولذلك فانى استضىء فى بحثى بهذه الاعتبارات ، لأنى أحرص على اختيار شيوخ يتسمون بالخلق والكرامة والأهلية والكفاية مع الغيرة الدينية ، ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم من الطلاب ، وليكون شيخ المعهد فى إقليمه خير سفير يمثل المسلمين فى هذا الإقليم . وإنى لأرجو أن أنتهى من هذه المسألة فى وقت قريب جدا ، أو فى أيام قلائل ، ليكون كل شيخ على رأس المعهد الذى يعين شيخا له فى مفتتح العام الدراسى .

مكتبتنا العربية

مدير مجلة الأزهر :

قلت : ولا زلت أرى أن مجلة الأزهر فى حاجة قصوى إلى أن يوضع لها نظام صحفى يمكنها من أن تساير النهضات الاجتماعية فى مختلف مرافق الحياة ، وقد قرأت أن فضيلتكم قد قبلتم استقالة مديرها السابق الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وهنا قاطعنى فضيلة الأستاذ الأكبر وقال بصوت خفيت :

إننى سوف أختار لهذه المجلة عالما أزهريا يجعل طابعها أزهريا ويمثل فيها الأزهر ببحوثه ، أو بالبحوث التى ينشرها فيها . ولا شك أننى أرمى من وراء ذلك إلى أن تكون هذه المجلة اللسان المعبر عن نزعات الأزهريين المختلفة ، وآرائهم فى مختلف البحوث التى تتصل بالإسلام أو بالحياة الإسلامية ، فتنير الطريق أمام قرائها سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين فى أمهات المشاكل ومعضلات المسائل العامة التى تكون موضع أخذ ورد بين الناس ، وبهذا تكون المجلة قد أدت رسالتها على نحو سليم صحيح . وأنت تعرف أننى قد تحملت أعباء العمل فى هذه المجلة بضع سنوات فعرفت مواطن الضعف فيها ومكان النقص فى رسالتها ، ولذلك فإنى أسترشد بما لمسته من الحقائق ، وأرجو أن يكون رائدى فيما اعتزمه من العمل ، على أن يوضع لها النظام الذى يكفل لها الحياة والنمو والبقاء .

الأزهريون عنوان الخير والمحبة والسلام :

قلت : وهل لفضيلتكم كلمة تستقبلون بها أبناءكم من العلماء والطلاب فى مناسبة افتتاح السنة الدراسية ، اننى قد رأيت فى الأيام الأخيرة أن هناك اتجاهات متناقضة تصور بعض الأزهريين على أن بينهم خلافا مستحكما ؟

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر :

أنا أميل بطبعى إلى الخير والسلام ، ولم أكن فى يوم من أيام حياتى متحزبا ولا متعصبا ، بل كنت دائما أكره التحزب والتعصب ، وأوثر أن آخذ الأمور باللين والرفق والهوادة ، وأنت تعلم أن شيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ، ودعوة الأزهر إنما تقوم على تحقيق معانى الخير والتواد والتحاب بين الناس أجمعين ، والأزهريون بحكم وضعهم ووصفهم هم الذين يبصرون الناس فى أمور دينهم ودنياهم ، ولذلك كان طبيعيا أن يكونوا عنوانا للخير والمودة والمحبة والسلام ، وأن يكونوا إخوانا متحابين فى الله متساندين لتكون لدعوتهم صداها وأثرها فى التوجيه والإرشاد فى مختلف الأمم الإسلامية ، إن علماء الأزهر هم أقرب

مكتبتنا العربية

الدين والقوة وسيلتان إلى غاية واحدة

العوامل ذات الأثر فى نظام المجتمع لا تعدو أن تكون أدبية ومادية ، وليس من قصدى أن أعرض لكل ما ينضوى تحت هذين النوعين ، فذلك اتجاه قد لا أبلغه ، وإنما أقصد — فى إجمال — إلى ما شرع الله لحماية المجتمع ، من دين وقوة ، فكلاهما وسيلة تلتقى مع الأخرى عند غاية واحدة : هى (أولا) تهذيب الإنسان حتى يكون فى الوضع الذى امتاز به بين الكائنات ، خليفة عن الله سبحانه فى عمارة دنياه « إنى جاعل فى الأرض خليفة » (ثانيا) إحاطته بما يسبغ الله من الخير ، حتى تتجلى أنعم الله على خلقه ، فيشكرها من يقدرها ، ويسعد بها فى حياته الأولى والآخرة ، وهذا مظهر الألوهية فى عظمتها ، وذلك تقدير العزيز العليم :

الناس إلى معرفة أوامر الله ونواهيه ، وهم من الأمة فى مقام الأئمة والهداة ، ومن أجل هذا وجب عليهم أن يكونوا حريصين على كل ما يرضى الله وما يحقق الخير لهم وللناس ، وأنت تعلم أن الصفح والعفو والمغفرة من صفات الرجل المؤمن بالله العالم الإمام الحذق ، وأن من أحب الأمور إلى أن تجتمع قلوبنا على ما يكون ، وأن نستقبل الأيام بروح التسامح والمحبة حتى نصل إلى ما يرضى الله ويحقق الصالح العام ، والله وحده يهدينا إلى سواء السبيل .

ترجمة تفسير القرآن

قلت : هل أستطيع أن أقف على رأى فضيلتكم فى ترجمة معانى القرآن ؟

فأجاب فضيلته :

هل تريد ترجمة معانى القرآن أم ترجمة تفسير القرآن ؟ إن هناك فرقا بين ترجمة معانى القرآن وترجمة تفسيره ، وعلى كل فإنى أرى أن نرجىء الكلام فى هذا الموضوع حتى أتمكن من الاطلاع على ما سبق أن وضع من التقارير والمذكرات فى هذا الموضوع ، وإلى فرصة قريبة إن شاء الله .

* * *

وهنا شعرت أنى أطلت على فضيلة الأستاذ الأكبر ، بل أثقلت عليه ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذا الحديث ، فتفضل وأذن مشكوراً .

مكتبتنا العربية

الدين والقوة وسيلتان إلى غاية واحدة

العوامل ذات الأثر فى نظام المجتمع لا تعدو أن تكون أدبية ومادية ، وليس من قصدى أن أعرض لكل ما ينضوى تحت هذين النوعين ، فذلك اتجاه قد لا أبلغه ، وإنما أقصد — فى إجمال — إلى ما شرع الله لحماية المجتمع ، من دين وقوة ، فكلاهما وسيلة تلتقى مع الأخرى عند غاية واحدة : هى (أولا) تهذيب الإنسان حتى يكون فى الوضع الذى امتاز به بين الكائنات ، خليفة عن الله سبحانه فى عمارة دنياه « إنى جاعل فى الأرض خليفة » (ثانيا) إحاطته بما يسبغ الله من الخير ، حتى تتجلى أنعم الله على خلقه ، فيشكرها من يقدرها ، ويسعد بها فى حياته الأولى والآخرة ، وهذا مظهر الألوهية فى عظمتها ، وذلك تقدير العزيز العليم :

الناس إلى معرفة أوامر الله ونواهيه ، وهم من الأمة فى مقام الأئمة والهداة ، ومن أجل هذا وجب عليهم أن يكونوا حريصين على كل ما يرضى الله وما يحقق الخير لهم وللناس ، وأنت تعلم أن الصفح والعفو والمغفرة من صفات الرجل المؤمن بالله العالم الإمام الحذق ، وأن من أحب الأمور إلى أن تجتمع قلوبنا على ما يكون ، وأن نستقبل الأيام بروح التسامح والمحبة حتى نصل إلى ما يرضى الله ويحقق الصالح العام ، والله وحده يهدينا إلى سواء السبيل .

ترجمة تفسير القرآن

قلت : هل أستطيع أن أقف على رأى فضيلتكم فى ترجمة معانى القرآن ؟

فأجاب فضيلته :

هل تريد ترجمة معانى القرآن أم ترجمة تفسير القرآن ؟ إن هناك فرقا بين ترجمة معانى القرآن وترجمة تفسيره ، وعلى كل فإنى أرى أن نرجىء الكلام فى هذا الموضوع حتى أتمكن من الاطلاع على ما سبق أن وضع من التقارير والمذكرات فى هذا الموضوع ، وإلى فرصة قريبة إن شاء الله .

* * *

وهنا شعرت أنى أطلت على فضيلة الأستاذ الأكبر ، بل أثقلت عليه ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذا الحديث ، فتفضل وأذن مشكوراً .

مكتبتنا العربية

(ا) يسلك الدين إلى تلك الغاية سبيل الدعوة السلمية فى تنشئة الفرد على نمط يهيء له أن يكون لبنة صلبة فى بناء رصين ، ووحدة سليمة فى مجتمع قوى ، ثم يتجه إلى تكوين الجماعة من أولئك الأفراد الصحاح ، ويضع هذه الجماعة الآخذة به الراضخة لسلطانه ، فى إطار من النظام الجماعى : تخيره من يعلم الخير والشر ، وماز الخبيث من الطيب .

يوقظ الدين فى المرء إرادته ، وينبه فكرته ، ويحترم عقليته ، ويدعوه إلى الجادة المثلى الواضحة المعالم ، دعوة مقرونة بالإقناع ، ويحضه على التقرب إلى ربه بما شرع له ، ويشد أزره بالترغيب فيما عنده ، ليغالب نفسه ، ويهتدى بعقله ، ويستجيب لضميره ، وينأى عن الغى ، ويجنح إلى الرشد .

وما كانت العبادات على تعدد أنواعها ، والتأكيد لشأنها ، وترتيب الثواب عليها إيجابا ، والعقاب عليها سلبا ، إلا سببا بين العبد وربه ، وعروة وثقى فى الصلة به ، لا لمجرد أنها تكليف ؛ ولكن لأنها نماذج للنظام الفردى والجماعى ، والله بديع السموات والأرض يحب من عباده أن يقتدوا بنظامه فى ملكه فيما يخصهم ، وفيما يعمهم ، ففى العبادات تحديد للموعد ، ووفاء بالوعد ، وحفاظ على العهد ، وفيها عزوف وكبح للنفس عما تهوى من المآثم ، وفيها تعاطف ومعونة ، وتضحية بالمال وبالنفس عند الاقتضاء ، وفيها على الإجمال طموح إلى الإنسانية فى أوجها الرفيع

وهذا النمط الذى تبدو فيه علاقة المرء بربه لم يقف به فى دائرته الفردية ، وإنما يرافقه بين الجماعة ، ويربطه بها ربطا وثيقا ، حتى ليجعل عبادة الفرد أحيانا مقرونة صحتها بالاشتراك مع غيره ، كما جعل من حياة الجماعة تكميلا لحياته وفى نظامها صيانة لشخصيته وحماية لوجوده .

وإذ يكون بمقتضى هذا جزءا لا ينفصل عن جملتها لم يسلبه الدين حقه كفرد له دائرته الخاصة به فى هذا الحشد الزاخر .

وسبيل الدين فى ذلك تنظيم الحكم ، وتحديد السلطة ، وتوثيق الأنساب ، وضبط المعاملات المالية فى أوضاع لا تشذ عن المصالح ، وربط السياسة الداخلة فى حيز الدولة وسياسة الدولة مع أخرى ، بأصول قائمة على العدالة الاجتماعية ، وعلى الحزم ورعاية الأحكام .

بهذا الإيجاز تتبين الوسيلة الدينية وما تنتهى إليه من غاية فى كفالة الفرد من الطغيان وفى كفالة المجتمع من الشرور ، والجرائم التى تهد من كيانه ، أو تسلبه الاستقرار فى محيطه .

مكتبتنا العربية

وبهذا التصوير تتشخص الحياة المثالية التى يرتضيها الدين الإسلامى لأهله ، ويهدى إليها القرآن وآياته البينات ، والتى انتهجها النبى ﷺ وصحبه وجاهدوا فيها ، ولكن هل يكفى ذلك التشريع الرحب الفضفاض لإرضاء النفوس الجوامح ، ورياضتها على الطاعة ، وإسلاس القياد فيمن يتملكه الشذوذ عن الجماعة ؟ .

إن الذى خلق النفوس لم يشأ لها أن تكون على غرار واحد ، ولم تقتض حكمته أن تكون سواسية فى الهدى ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، . ، ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، .

(ب) وهنا تشتد حاجة الدعوة الدينية الى القوة المادية ماثلة فى الجيش ، لتقمع الخوارج ، وترجع بالشواذ إلى حظيرة الجماعة ، وتفتح الآذان الموقورة لسماع دعوة الأذان إلى الفلاح ، وتنفذ إلى القلوب الغلف بنور السماء لمن شاء الله أن يهديه .

تشتد حاجة الدعوة إلى القوة لتحمى الأخلاق مما يفتنها ، وتصون الكرامات مما يثلمها وتناصر الدعوة فى كفاحها ، وتوفر لها الأمن فى وطنها ، وتشق لها طريقها لتسعى قدما الى غايتها :

لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ومن هنا اتفق فى حكمة الله أن تكون الرسالة الدينية فى الإسلام قائمة على الدعوة والقوة جميعاً ، إذ الإسلام دين ودولة ، وهو يعتمد فى دولته على الدعوة أولا ، ثم يلجأ إلى القوة إذا تمردت عليه الجهالة ، أو وقف فى سبيله العداء الموروث . ومنهج القرآن فى تنظيم الأمة جاء على ذلك ، وبه نهضت للمسلمين دولة فى أرض موحشة ، وبين خصوم جبارة ، ثم اتسعت لهم الرقعة ، وتركزت لهم السيادة بتآزر الدعوة والقوة ، وتلك سنة الله لم تتخلف بعد إلا عمن تخلف عنها ، ولم تتغير إلا بقوم غيروا ما بأنفسهم .

غير أن الدعوة لا ترتكز على القوة الغاشمة المطلقة عن القيود ؛ فإن هذه تكون ضراوة وحشية ، تزيد فى الفوضى أولا ولا تجدى فى العلاج ، وتعود بالنقض على أغراض الدعوة السلمية .

إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفاكا

وإنما تعتمد على القوة المصقولة بصقال الدين ، المشربة بروحه ، وإنسانيته ، وتلطفه ، النازلة على حكمه فيما لها أو عليها مع أولياء الدين أو خصومه .

مكتبتنا العربية

ومن أجل ذلك كان الإسلام رحمة بالناس، حتى فى خصومته وحروبه، وفيّا بعهده كريماً فى هدنته، ومن لم يهد بقصص القرآن، ومن لم يؤمن بما يؤيده من أحداث التاريخ فله شأنه:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وبعد: فإن لدينا فى مصر أصدق العبر - ومصر هى البلد العريق فى إسلامه وفى عروبته، وبلد الخلافة يوم أوت إليها مهيضة فآوتها، وهى بلد الأزهر قديماً ودائماً - إن شاء الله - إذ دخلتها دعوة الإسلام تؤازرها القوة، وخفقت على شرفاتها راية الإسلام فى ظل القوة ثم وهنت قوتها أخيراً بفعل الزمن وأعاصير السياسة، فوهنت دعوة الدين نوعا واعتورتها سهام الإلحاد، وزاحمتها المجانة، وطغت عليها نوازع الشر، واتسعت الهوة بين دعوتها، وجيشها، ولم يبق إلا الأزهر وحده قائما على دعوته، ولكن فى شىء من الجهد، لكثرة ما افتتن الناس به من مغريات زحفت علينا، حتى أصبح الأزهر فى وطنه كالدخيل على غير أهله، يتعرفه واحد ويتجاهله آخرون، وحتى خشى الأزهر أن تنأصل وتعيش حوله تلك المخازى، فتتحيف من شأنه ومكانته، بل لقد رأى الأزهر أثراً لذلك الذى يخشاه فى أفراد أحاطت بهم عوامل السوء فلانت قناتهم فى يد الفتنة، مما يشتد لهوله الأسى، وتتقد له الحسرة بين الضلوع.

وكأن هذا فى علم الله إيذان بانتهاء المحنة، وتقلص الفتنة، واستعادة الدين لصولته، وانتعاش الأزهر فى رسالته، إذ بعث من معاقل الجيش المصرى همة فى كبرياء، وغيرة فى إباء، بعث من معاقل الجيش حماسة ابن الخطاب، ماثلة فى إقدام ابن العاص، وجدد وفاء السابقين من أبطال الأمس، فى نجيب وصحبه من أبطال اليوم، فدالت دولة الفساد والظلم والإلحاد فى ساعة، وتجددت للوطن كرامته، وللدين قداسته، وللشعب بهجته، وستظل - برعاية الله، ومعونته - هذه النهضة على قدم وساق. ولعل من الفأل الحسن أن تقترن هذه الوثبة باستقبال الأزهر لشيخ تقى يستعين بالله حتماً، ولا يقول إلا صدقا، وهو بعد، لا تخدعه الزلفى، ولا يغره الثناء، وعلى مثل هذا الشيخ يتوكأ الأزهر وينهض ويستفيد ويفيد، والله المستجيب.

محمد عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

دعاء واستعاذة

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » رواه مسلم .

* * *

للدعاء فى الإسلام ، وهدى النبى عليه الصلاة والسلام ، شأن عظيم ومقام كريم . أم تر إلى فاتحة الكتاب : أم القرآن وأعظم سورة فيه ؟! شطرها الأول ثناء ، وشطرها الآخر دعاء . أولم تر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟! لم يكتف بأن يحدثنا أن الدعاء أكرم شىء على الله تعالى ، حتى حدثنا أنه هو العبادة أو هو مخ العبادة (١) .

والعبادة هى منتهى الخشوع والخضوع لله رب العالمين . وبحسب إخلاص العبد فيها واستقامته عليها ، ترتفع درجته ، وتشرف عند الله مكانته .

وفى هذا الحديث الذى استخرنا الله تعالى أن يكون فاتحة المجلة - وقد عادت إلى السنة - يستعيذ النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعلم أمته أن تستعيذ من خمس آفات مهلكات ، كلهن شر يُتقى ، وبلاء يستعاذ بالله منه ! ثم يستعيذ صلوات الله وسلامه عليه من عذاب القبر ، وكأنه عاقبة محتومة للآفات السابقة ، ونذير سوء لما بعده من عذاب الآخرة ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، ثم يضرع إلى الله تعالى أن يؤتيه ومن اتبع هداه التقوى ، وأن يطهره من هذه الآفات وما إليها ، ويقرن هذه الضراعة بالثناء عليه بما هو أهله ، ثم يتحصن به - وهو نعم الملجأ - من أربع بلايا من كفيهن فقد كفى الشر كله ، وضرب فى الخير بسهم وفير .

وقد زاوج النبى صلى الله عليه وسلم بين كل اثنين من هذه البلايا التى عاذ بالله منها

---

(١) إشارة إلى ثلاثة أحاديث رواها الترمذى وغيره : الأول عن أبى هريرة ، والثانى عن النعمان بن بشير ، والثالث عن أنس رضى الله عنهم .

مكتبتنا العربية

لمشاكلة بينهما . فتعوذ أول ما تعوذ من العجز والكسل ، وكلاهما داء وبيل ومرض قاتل للحياة الروحية والاجتماعية ، بل للحياة الطيبة فى الآخرة والأولى . ويتفقان كلاهما فى صفة سلبية وهى التخلى عن العمل ، وإن كان منشأ التخلى فى العجز عاهة أو نحوها ، ومنشأ التخلى فى الكسل التقاعد والتثاقل عن العمل مع القدرة عليه ، إيثارا لراحة البدن أو حظ من حظوظ النفس وأهوائها . ويختلفان فى أن الكسلان مذموم ملوم لا عذر له ، لأنه ساقط الهمة خائر العزيمة متخلف عن الركب ، بضاعته الأحلام والأمانى ، وبئس للظالمين بدلا ، أما العاجز فهو معذور إلى أمد بعيد ، ولا سيما عجز بمحض القضاء والقدر لا يد لصاحبه فيه كالذى يولد كذلك أو الذى يصاب من حيث لا يحتسب ؛ فأما من جنى على نفسه حتى أعجزها ، أو حاد بها عن طريق الجادة حتى أتلفها فهو أعظم من الكسلان جرما وأقبح إثما وذما ! فليتق الله امرؤ فى نفسه ، وليجتنبها بواعث العجز والكسل ، وإلا فهو عضو فاسد يجب النظر فى إصلاحه أو بتره قبل أن يغدو فساده على المجتمع .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن والبخل ، وكلاهما منع وشح ، غير أن الأول شح بالنفس ، والثانى شح بحبيب النفس ، وهما قرينان لا يكاد يذكر أحدهما دون صاحبه ، وكذلك ضداهما : الشجاعة والكرم . ومن أمثلة الاستدراك فى مبادىء النحو : فلان شجاع لكنه بخيل ، وذلك لأنه لا تخطر الشجاعة بالبال إلا ومعها الكرم . وتعليل ذلك هين ، فإن الكرم ضرب من ضروب الشجاعة .

ومرد الشجاعة بجميع صنوفها إلى الثقة بالله أولا ثم بالنفس ثانيا ، ومن هنا كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أشجع الناس وأكرم الناس ، لأنهم أوثق الناس بالله عز وجل . وجود الخليل والحبيب بالنفس والمال ليس موضع ريبة ولا جدال . وكذلك ورثة الأنبياء من بعدهم ، وكم ضحوا بالنفس والنفيس فى سبيل الله وسبيل أوطانهم ، لا يبتغون إلا وجه الله ولا يخشون أحداً سواه ، فأما الجبناء والبخلاء فليسوا من ورثة الأنبياء فى شىء .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الهرم وعذاب القبر .

والهرم أقصى السن وأرذل العمر ، والهرم على هذه الحال كل ثقيل على الأهل والولد ، وبالحرى غيرهم . وكبر السن مع ثقل الظل داء يستعاذ بالله منه ، فأما مجرد الكبر ، ولو جاوز المائة ، مع سلامة العقل وهدوء النفس واستقامة العمل فذلك خير يطلب المزيد منه . فإذا

مكتبتنا العربية

اجتمع إلى تلك الصفات حنكة وتجربة وسداد فى الرأى ورشد فى السياسة ونور فى البصيرة وخشية لله وحده ، فذلك الإمام المقتدى به ، والسراج الذى يستضاء بنوره ، وفى مثل هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه : « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » .

* * *

وعذاب القبر ونعيمه كلاهما حق ، تضافرت الأدلة عليه ، وصحت الرواية فيه عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى مواطن كثيرة ، ولا يأبى دستور العقل أن يعيد الله تعالى حياة العبد فى جسده أو فى جزء منه ، وأن يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، ويقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة . وقاعدة أهل السنة والجماعة أن شيئاً ورد به نقل قويم ولم يمنع منه عقل سليم ، وجب قبوله واعتقاده والإيمان به . وكم من شىء أثبته العلم الحديث فى عالم الأحياء ، بعد أن أنكره قليلو البضاعة من أشباه العلماء ، فكيف بهم فى عالم الأموات وبضاعتهم فيه مزجاة ؟! ألا إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، فليعدامرؤ قبره كما يشاء ويختار ، « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

بعد أن تعوّذ صلى الله عليه وسلم من هذه الآفات التى تهلك من يبتلى بها ـ فردا كان أو جماعة ـ ضرع إلى الله سبحانه أن يمنح نفسه تقواها له وخشيتها منه ، وأن يزكيها ويجعلها لأنه القادر على ذلك وحده ، فهو مالك أمرها ومدبر شأنها والقائم على كل نفس بما كسبت ، لا يسوق الخير غيره ولا يكشف الضر أحد سواه . إن ضراعته هذه بعد استعاذته ، من قبيل التحلية بعد التخلية ، أو من قبيل الصحة بعد العافية .

وتزكية النفس : تطهيرها سراً وعلانية من الخبث والدنس ، فى عقيدة المرء وسلوكه ومعاملته ، لنفسه أو لربه ، أو لأهله وعشيرته ، أو لوطنه وأمته والعالم أجمع .

ولقد قام الإسلام على قواعد التطهير العام الشامل : فدعا إلى تطهير العقائد من دنس الشرك والكفر وعبادة غير الله عز وجل ، وإلى تطهير العقل من الخشوع والخضوع للخرافات والأوهام والأضاليل ، وتقليد الآباء والكبراء على غير هدى وبصيرة ؛ وإلى تطهير القلب من الحقد والحسد والغل والشحناء والبغضاء وما إلى ذلك من أمراضه الذاهبة به وبصاحبه : ودعا إلى تطهير المعاملات من الكذب والزور والرشوة والربا ، والحرص والجشع والخداع والطمع وما إليها من أكل أموال الناس بالباطل والعدوان عليهم فى المال أو العرض أو النفس .

مكتبتنا العربية

بنى الإسلام - ولا نقول سبق - على هذا التطهير العام الشامل الذى لم يدع رذيلة إلا هدمها ، ولا نقيصة إلا محاها ، ثم شيد على أنقاض هذه الرذائل مدرسة قوية الأركان ، عتيدة البنيان ، منهاجها الكتاب المبين ، وإمامها خاتم النبيين ، وبنوها خير أمة أخرجت للناس .

وليس التطهير الذى تقوم به الحكومات الرشيدة فى عهودها المباركة إلا شيئا قليلا مما حمل الإسلام عبئه . وإذا كان الدين خير ظهير للحكومات ، يعينها ويؤيدها ويأخذ بيدها إلى ما ترجو من عزة وسعادة ومجد ورفعة . فما أجدرها أن تبادله معونة بمعونة ، فتكون له خير نصير ، تؤيده وتظهره ، وتثبته وتنصره ، وتتخذه فى كل عمل من أعمالها منهاجا لها وإماما .

فعلى بركة الله سيرى أيتها الحكومات السديدة مطهرة ومربية ، ومعلمة ومزكية ، موقنة بأن الله هو القيوم الديان ، وأنه يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

* * *

ولما كان النبى فى أمته ، والإمام فى رعيته ، والقائد فى جنده ، كالطبيب الشفوق الناصح ، وكان أخوف ما يخاف على مريضه الانتكاس والعياذ بالله تعالى ، عاد صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من أربع آفات أخرى فيهن فساد المرء ودنسه ، ومنهن يكون بلاؤه وانتكاسه . على أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ أحيانا من هذه الأربع على حدة ، فقد روى الاستعاذة منها فى حديث مستقل الترمذى والنسائى عن ابن عمرو رضى الله عنهما ، وكذلك أبو داود عن أبى هريره رضى الله عنه :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الآفة الأولى : علم لا ينفع ، لأنه شر من الجهل ، فإن الجاهل قد يعذر بجهله ، وأما العالم الذى لم ينفعه الله بعلمه فهو فتنة للناس ومضلة لهم لأنه فى موضع القدوة منهم ، لا جرم أن علمه حجة عليه لا له وأنه أشد الناس خزيا ومقتا فى الدنيا والآخرة « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

الآفة الثانية : قلب لا يخشع ؛ لخلوه من الإيمان واليقين ، وفساده باجتراح السيئات والمعاصى ، طبع الله عليه فلم يلن لذكر الله ولم يتعظ بمواعظ الله . ثم انتقل فساده إلى الجوارح لأنه المهيمن عليها والمحرك لها . وفى حديث الصحيحين المعروف « ألا وإن فى الجسد مضغه إذا صلحت صح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

الآفة الثالثة : نفس لا تشبع ؛ لجشعها وطمعها فهى وبال على صاحبها ومتعبة له ، لا تدعه يتمتع بما أوتى من نعمة ومتاع ، لا يتمتع بنعمة عاجلة لأنه مشغول عنها بالآجلة ، ولا يتمتع بنعمة آجلة لأنها لم تأت بعد ، لا جرم أنه الشقى المحروم الذى سلب نعمة الرضا وملأ قلبه بحب الدنيا . وحب الدنيا رأس كل خطيئة .

مكتبتنا العربية

الآفة الرابعة : دعوة لا يستجاب لها ، أو « دعاء لا يسمع » كما فى الرواية الأخرى ؛ لأن عدم الاستجابة أمارة إعراض الله عن العبد لإعراض العبد عنه . وينبغى أن يعلم أن تأخير الإجابة ليس دليلا على رد المسألة ، فقد تؤخر لأسرار إلهية ، منها أن الله يحب أن يسمع صوت الداعى وتضرعه ، كما أنه ليس من شرط الإجابة أن تقضى حاجة العبد نفسها ، فربما ادخرها الله له فى الآخرة ، وربما صرف عنه من السوء مثلها . فلا ييئس العبد من روح الله وليدع ربه صادق النية حاضر القلب طيب الكسب موقنا بالإجابة . وقد بسطنا القول فى أدب الدعاء [1] فى شرح حديث الصحيحين « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل » فلا حاجة بنا إلى إعادته .

ذلك ، وينطوى الحديث على لطائف جمة ، وإشارات كريمة ، إذا لم يتسع المقام لتفصيلها كلها فلا أقل من التنبيه على بعضها .

فمنها : أن التحصن من الآفات والبلايا ، بالدعوات والاستعاذة ، بمنزلة الوقاية منها قبل وقوعها . ومثل الأمراض الروحية والاجتماعية كمثل الأمراض الجسمية ، الوقاية فى كل منها خير من العلاج . فإذا وقع شىء من هذه الأدواء ، وجد إلى جانبه الأدوية التى أنزلها الحكيم الخبير ضامنة للشفاء . ومتى أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله . وما مثل الضمان الاجتماعى الذى تتباهى به الأمم بجانب هذا الضمان الإلهى إلا كمثل القشر من اللب أو كمثل الزبد من الزبد ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها شدة الصحابة رضى الله عنهم فى تحرى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذاً من قول زيد رضى الله عنه : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . . وحسب زيد شرفا وتحريا أن الله تعالى صدقه لما رفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم قول عبد الله بن أبىّ رأس المنافقين : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » وقد أكذبه ابن أبى وحلف ، فأنزل الله تصديقه : وأخذ صلى الله عليه وسلم بإذنه وقال : « وفت أذنك يا غلام » ولبسط القصة مقام آخر غير هذا المقام .

ومنها الإشارة إلى فضل الدعاء والاستعاذة ، وعظيم أثرهما فى تزكية النفس وتربيتها ، وصلتها بربها ومالك أمرها وناصيتها ، ولا سيما مع الدوام الذى تشير إليه صيغة « كان . . »

فاللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان . اللهم اهدنا لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، وقنا سيىء الأعمال وسيىء الأخلاق لا يقى سيئها إلا أنت « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

ط محمد السماكت

---

(١) بالجزء العاشر من المجلد الرابع عشر .

مكتبتنا العربية

فى الفقه الإسلامى
نشأته - خصائصه

تمهيد :

١ — لكل مجتمع ، مهما كانت درجته من الفكر والحضارة ، حظه من قواعد وأصول تحكم تصرفاته ومعاملاته وسائر شئونه ، والمجتمع العربى قبل الإسلام لم يشذ عن هذا الاساس الذى يقوم عليه بقاء الشخص والنوع والاجتماع والعمران .

لذلك ، نجد العرب عرفوا كثيراً من ضروب المعاملات ، كالبيع والمضاربة والشركة والإجارة ، وأقر الإسلام - على لسان رسوله وفعله وتقريره - ما وجده صالحا منها ، وحرم ما رآه غير صالح ولا يقوم عليه مجتمع سليم .

جاء فى سنن أبى داود عن رسول الله ﷺ أنه قال للسائب بن أبى السائب : « كنت شريكى ، فنعم الشريك ! كنت لا تدارى ولا تمارى » ، ومعروف أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم (١) .

كما عرفوا أيضا عقد « السلم » ، ولذلك نجد الرسول حين ينهى عن بيع « الغرر » يستثنى السلم لما فى منعه من الحرج على الناس . وفى هذا يروى البخارى أن النبى ﷺ قدم المدينة وهم يُسلفون فى الثمار السنة والسنتين ، فقال : من أسلف ، فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم ، ومعنى هذا ، إقرار ذلك العقد ، مع بيان الشروط الضرورية لصحته .

٢ — إلا أنه لا يستطيع أحد أن يزعم أن العرب فى جاهليتهم وصلوا من ذلك إلى بعض ما تصلح به أمة للحياة : إن ما عرفوه فى هذه الناحية لم يكن إلا قواعد أو مبادىء متفرقة فى غير شمول ولا كفاية ، ومن أجل هذا وغيره كانت الحاجة ماسة للإسلام وشريعته .

أجل ! ظهر الإسلام والعرب ، بل العالم كله ، فى أشد الحاجة إليه ، فأعطاهم العقيدة الحقة ، والنظم التى يقوم عليها المجتمع والأمة ، وكان من هذه النظم الحكيمة . ما نسميه اليوم « بالفقه » . وهو ما نرجو أن يوفقنا الله تعالى — فى هذه الكلمات — للتعريف بنشأته وخصائصه ، وبيان الطريق للإفادة منه ليكون القانون العام الشامل ، بدل

(١) انظر سيرة ابن هشام ، نشر المكتبة التجارية سنة ١٩٣٧ ، ج ١ : ٢٠٣

مكتبتنا العربية

ما نستجلبه من أمم أجنبية عنا بحضارتها وأهدافها في الحياة فليس كل ما يصلح لها يصلح لنا ، وبالله العون والتوفيق والسداد .

نشأة الفقه

٣ — لم ينشأ الفقه الإسلامي ، كما نعرفه اليوم ، كاملا مرة واحدة ، بل تدرج في مراحل مختلفة حتى بلغ ما قدر له من نضج وكمال ، شأنه في هذه الظاهرة شأن كل شيء وجد وعرف نور الحياة ، على أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، حتى كان الفقه قد استكمل أصوله التي قام عليها واستوى فيما بعد ؛ إذ انقضى بوفاته عهد وضع الشريعة في أسسها وأصولها ، فلم يبق للفقهاء بعده إلا الاستنباط والتفريع والتطبيقات .

وكان من الطبيعي أن يكون عماد الفقه في الفترة الأولى من حياته الخالدة ، على القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة . وقد استمرت هذه الفترة طوال حياة الرسول ، وفيها نزل القرآن مفرقا في مكة والمدينة ، وكان ما نزل بمكة نحو ثلثيه والباقي بالمدينة ، وقد اشتمل ما نزل بالمدينة على الجانب الأكبر من التشريعات الفقهية التفصيلية . أما ما نزل بمكة ، فقد كان مقصده الأول الدعوة إلى الله وتوحيده ، والتدليل على ذلك وعلى وجود الدار الأخرى .

٤ — ولا عجب أن يكون هذا هو منهج القرآن مكيه ومدنيه . فالمهم الأول كان صرف الناس عن الأديان والاعتقادات الباطلة ، وتوجيههم للدين الحق . وبعد أن تم للرسول النصر ولدين الله الفوز والثبات ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا ، كان قد آن أن ينزل القرآن بالتشريعات التفصيلية الواجبة لتنظيم حياة المسلمين ومجتمعهم ، وبخاصة وقد صار للإسلام دولة بالمدينة تتطلب ما تقوم عليه من شرائع ونظم متعددة تحكم الحياة في نواحيها المختلفة .

ومن حكمة الله أن نزل القرآن بتكاليفه وأحكامه على التدريج ، رحمة بالناس وأخذا لهم باليسر . وكان بعض ما نزل به إجابة على أسئلة واستفتاءات يتقدم بها هذا أو ذاك من المسلمين ، ولذلك نجد في القرآن خمس عشرة آية مصدرة بكلمة : « يسألونك » ، وآيتين مصدرتين بكلمة : « يستفتونك » ، ومن الضرب الأول ثمان آيات كان السؤال فيها عن بعض ما يتناول الفقه من موضوعات ، وكلها بسورة البقرة ما عدا واحدة بالمائدة وأخرى بالأنفال .

مكتبتنا العربية

٥ — وكان الرسول إذا سئل عن مسألة ، أو جدت حادثة تقتضى حكم الله تعالى ، ينتظر الوحى السماوى ؛ فإن نزل بالمراد كان بها ، وإلا كان هذا إيذانا من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى . ومن أجل ذلك ، يجب أن نجزم بأن كل التشريعات التى ظفر بها الإسلام فى عهد المصطفى ، هى تشريعات وأحكام إلهية ؛ إما عن طريق مباشر بنزول القرآن بها ، وإما عن الرسول ويقرّه الله عليها .

وهنا ، ينبغى أن نلاحظ أن القرآن كثيراً ما كان يأتى بالتشريعات والأحكام بصفة عامة إجمالية ، وكان على الرسول — فى هذه الحالات — تفصيل هذا الإجمال . ولا عجب فى ذلك ، فإن مهمة الرسول دائما هى البيان لرسالته بكافة طرق البيان ، بما يرشد إلى مقاصد صاحب الرسالة الأعظم وهو الله تعالى . وقد يكون لنا أن نقرر فى إيجاز أن دور الرسول هو دور المفسر والشارح للمتن الذى هو القرآن ؛ إلا أنه شارح ملهم من الله ، مصحوب بتوفيقه .

وكان من ذلك ، أن مر الفقه بدور الشباب ، ثم دور النضج والكمال ، وأخيرا دور الشيخوخة بسبب التقليد ، ونرجو أن يستعيد من جديد فتوته وقوته وحيويته الدائمة .

وقيام الرسول ببيان وتفصيل ما جاء به القرآن من أحكام وتشريعات ، له مثل كثيرة : فى الصلاة والصيام والزكاة والحج ، [1] وفى غير ذلك كله من ضروب المعاملات ، وهكذا كانت السنة مبينة للقرآن ، وكان الرسول مشرعا بقوله وفعله وتقريره — وإن كان الله هو المشرع الأعظم فى الحقيقة — باستلهامه القرآن دائما : نصه ، وروحه ، ومقاصده التى ترمى دائما للصالح والخير العام .

٦ — هذا ، والذى يقرأ القرآن بتدبر وملاحظة لما فيه من أبواب الفقه ، يجد أن لكل من فروع القانون التى نعرفها اليوم آيات خاصة تبين أحكامه . ففى القرآن نحو سبعين آية فى الأحوال الشخصية . وفى المعاملات أو القانون المدنى نحو هذا القدر ؛ وفى باب العقوبات وإجراءات التحقيق نحو ثلاثين آية ، وفى باب القضاء والشهادة وما يتصل بذلك من مرافعات نحو عشرين آية والذى يتتبع فقه السنة ، يجد أيضا أن فى كل من هذه الأبواب كثيرا من الأحاديث ، منها ما يبين ما جاء فى القرآن مجملا ، ومنها ما يجىء بما سكت عنه . وكل

(١) لم نجد ضروريا أن نطيل بذكر الآيات التى شرعت بإجمال هذه العبادات والأحاديث التى تناولتها بالتفصيل ، فذلك معروف ألم بشىء شيا من علوم القرآن والحديث .

مكتبتنا العربية

هذا وذاك ، قد كمل بما قرره القرآن والرسول من الأصول الكلية التشريعية ، وبذلك ظفر الإسلام حال حياة الرسول بتشريعات كاملة وافية بحاجات المسلمين الكثيرة المتنوعة والمتجددة فى كل زمان ومكان [١] .

ثم إن بعض رجال الحديث ، رضوان الله عليهم ، قد رتبوا ماصح عندهم من الأحاديث على أبواب الفقه ، بحيث يسهل للباحث معرفة مدى أثر السنة فى الفقه الإسلامى بجانب القرآن الذى هو المصدر الاساسى الأول لكل تشريع .

٧ — وبعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، أخذ الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية يمتد إلى أقطار الأرض كلها ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، إذ فتح الله على المسلمين العراق والشام ومصر وشمال إفريقية والهند وغيرها . ولكل من هذه البلاد حضارتها وتشريعاتها المختلفة ، ولكل منها أيضا تقاليدها وعاداتها وأعرافها التى تعتبر من مصادر التشريع . وكان من هذا كله ، أن كثرت الحوادث والنوازل التى تتطلب أحكام الله تعالى ، وأن أصبح المأثور من قضاء الرسول وأحكامه لا يفى بهذه الحوادث والواقعات التى تزيد وتتجدد فى كل آن .

وثمة عامل آخر كان له أثره فى الفقه فى هذه الفترة وما تلاها ، وهو هجرة كثير من الصحابة بعد عهد عمر ، رضوان الله عليه ، إلى هذه الأقطار ، فشاع التحديث عن الرسول ﷺ وكثر استنباط الأحكام من القرآن ومما يروونه صحيحاً من أحاديث الرسول . وطبيعى أن يكون لكل هذه العوامل ، وتلك ، أثرها فى الفقه والتشريعات ، وفى كثرة الاجتهاد والمجتهدين .

وهكذا ، بدأ الفقه الإسلامى يتسع ويزدهر ، وأخذت أصوله تعرف وتتميز ، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها كالمصالح المرسلة ، وبدأت أعراف البلاد المختلفة — التى أصبحت تكون جسم الدولة الإسلامية — تؤثر فى الفقهاء والفقه أثراً غير قليل ، إلا أن هذا الأثر يكاد ينحصر فى إثارة مشاكل لم يعرفها المسلمون من قبل ، فكانت ميداناً لاجتهاد المجتهدين .

٨ — وبعد فقد كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، إذا سئل أحدهما عن مسألة ، يلجأ أولا إلى الكتاب والسنة ، فإن وجد الحكم الذى يريد فذاك ، وإلا لجأ إلى الصحابة ويقضى

---

(١) ولذلك ، يقول الله تعالى فى أواخر حياة الرسول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

مكتبتنا العربية

بما يجد عند أحدهم عن الرسول . فإن أعياه الأمر ، استشار أهل الرأى والعلم وقضى بما يجتمعون عليه ، إلا أن عمر كان يرجع ، بعد الكتاب والسنة ، إلى رأى الصديق إن كان له رأى فى الحادثة ، قبل أن يلجأ إلى استشارة ذوى الرأى والعلم من الصحابة جميعاً .

ومع ذلك ، فقد كان لكل منهما اجتهاده فى بعض المسائل التى جدت فى أيامهم ، كما كانا يستعملان القياس أحيانا فيما لا نص فيه . لكن عمر كان يتخوف على الناس أن يجتهدوا فلا يوفقوا دائما لحكم الله . ومن ثم ، تجده يكتب لشريح ، حين ولاه قضاء الكوفة فيقول : « إذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر ما فى كتاب الله فاقض به ، فإن لم يكن ففيما قضى به رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن ففيما قضى به الصالحون وأئمة العدل ، فإن لم يكن فأنت بالخيار ، فإن شئت أن تجتهد رأيك فاجتهد رأيك ، وإن شئت أن تؤمرنى ولا أرى مؤامرتك إياى إلا خيراً والسلام » (١) .

٩ — وإلى تشدد الصحابة فى الاجتهاد بالرأى ، مخافة القول على الله ورسوله بلا علم ، ينبغى أن نضيف أن الشيخين بخاصة كانا يتشددان فى الإكثار من الرواية عن الرسول خوف الوقوع فى الكذب وانصراف الناس عن الاستنباط من القرآن .

روى الحافظ الذهبى أن الصديق جمع الناس بعد وفاة النبى وقال : « إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه (٢) . وروى أيضا عن قرظة بن كعب قال : لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا ، وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك ، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم . جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم . فلما قدم قرظة ، قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر ! » (٣) .

١٠ — وما ينبغى لنا أن نظن من ذلك عدم اعتبار الصحابة للسنة مصدرا من مصادر التشريع بعد القرآن ؛ أنهم كانوا بلا ريب يعتبرونها كذلك ، ولكنهم كانوا يتشددون فى الرواية للحديث ، كما قلنا ، خشية الكذب أو الخطأ ، وهكذا كان الشك فى الحديث

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، طبعة منير الدمشقى ، جـ ١ : ٧١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، جـ ١ : ٣ (٣) نفسه ، جد ٧ .

مكتبتنا العربية

فيما بعد من عوامل ظهور الرأى فى الفقه ، إلى درجة أن ظهر فى الفقه فى عصر متأخر قليلا عن هذه الفترة ، مدرستان : مدرسة أهل الحديث ، ومدرسة أهل الرأى .

وليس ضروريا أن نأتى بشىء من الأدلة على اعتبار الصحابة السنة مصدرا من مصادر التشريع ، فذلك معروف وبدهى ، ولكن نذكر - مع ذلك - مثالين فى هذه الناحية . فقد جاءت جدة إلى أبى بكر تسأله ميراثها ، فقال لها لا أعلم لك فى كتاب الله أو سنة رسوله شيئا ولكن سأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة بأن الرسول يعطيها السدس ، فقضى أبو بكر به . وكذلك استشار عمر فى سقط المرأة إذا نزل بتعد من واحد من الناس ، فشهد هذان أيضا بأن الرسول قضى فيه بغرة [الغرة عبد أو أمة] ، فما كان من الفاروق إلا أن أن أمضى ذلك القضاء . (١) ومن هذين المثالين - وغيرهما كثير - نعلم مقدار احترام الشيخين لسنة الرسول ﷺ ، كما نعلم أنهما لم يكونا يتهمان أحدا من الصحابة بالكذب على الرسول ، حينما طلب كل منهما شاهدا يسند راوى حديث فى ميراث الجدة وحديث سقط المرأة ، ولكن هو الاحتياط فى الشريعة والرغبة فى التثبت .

١١ — وهنا ، تظهر لنا مشكلة تشريعية تتطلب الحل . لقد رأينا أن الصحابة كانوا يلجأون إلى الرأى بعد الكتاب المحكم والسنة الثابتة ، وكان الحكم الذى يجمعون عليه يعتبر حكما ليس لأحد أن يخالفه ، فهل الأمر كذلك فى قول الصحابى الواحد ؟ أى هل يعتبر قوله حجة لا يجوز أن نحيد عنه ؟ ويحسن بنا ، فى طريق حل المشكلة ، أن ننظر لعامل الزمن والتاريخ .

إذا رجعنا لأقاويل الصحابة أنفسهم ، حين كان الواحد منهم يفتى باجتهاده ، نجد المفتى منهم لا يرى أن يكون رأيه ملزما ، لأنه يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب ، وليس لأحد حمل الناس جميعا على رأى فيه هذا الاحتمال .

لقد كان الصديق إذا اجتهد وبان له الرأى الذى يعتقده حقا ، يقول : هذا رأيى ؛ فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى وأستغفر الله ، وكذلك كان صنيع عمر ، فقد كتب كاتب له : هذا ما رأى الله ورأى عمر ، فقال له : بئسما قلت ! هذا ما رأى عمر ؛ فإن يكن

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ص ٣ ، و ص ٨

(٢) إعلام الموقعين ، جـ ٤ ، ١٠٣ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمن عمر . وقال : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى ـ لعله يريد الرأى الذى قد يكون خطأ ـ سنة للأمة .

١٢ — هذا . ما كان يراه الصحابة وكبار التابعين ، عند ما يفتون بالرأى عن اجتهاد ، فلا يرونه ملزما للأمة وحجة على الناس جميعا لاحتماله الخطأ . أما إذا طوينا الزمن ، وانتقلنا إلى العصر الوسيط ، فإننا نرى مثلا الإمام ابن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ يعقد لقول الصحابى برأيه فصلا يقول فيه ما نذكره باختصار :

« إذا قال الصحابى قوله وخالفه مثله ، لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر . وإن خالفه أعلم منه ، كما إذا خالف الخلفاء الراشدين أو بعضهم غيرهم من الصحابة . فالصحيح أن الجانب الذى فيه الراشدون أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ به ، فإن كان الأربعة فى شق فلاشك أنه الصواب . وإن كان أكثرهم فى شق فالصواب فيه أغلب ، وإن كانوا اثنين اثنين فجانب أبى بكر وعمر أقرب إلى الصواب ، فإن اختلف هذان فالصواب مع أبى بكر . وهذه جملة لا يعرف تفصيلها إلا من له خبرة واطلاع على ما اختلفوا فيه ، وعلى الراجح من أقوالهم ، ولا يعرف للصديق خلاف نص أبدا ، ولا يعرف له حكم ولا فتوى مأخذها ضعيف أبدا ، وهو تحقيق لكون خلافته نبوية.

وإن لم يخالف صحابى صحابيا آخر ، واشتهر قوله فى الصحابة ، فالذى عليه جماهير الطوائف الفقهاء أنه إجماع وحجة ، وقالت طائفة منهم هو حجة وليس بإجماع ، وقالت شرذمة من المتكلمين وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون إجماعا ولا حجة .

وإن لم يشتهر قوله ، أو لم يعلم هل اشتهر أم لا ، فالذى عليه جمهور الأمة أنه حجة ، وهو قول جمهور الحنفية ، ومذهب مالك وأصحابه ، ومنصوص الإمام أحمد واختيار جمهور أصحابه ، ومنصوص الشافعى فى القديم والجديد » (١) .

من ذلك كله ، نرى أن المتأخرين قد أعطوا لقول الصحابى برأيه مجتهدا فى الفقه قيمة أكثر مما كان يعطى الصحابة أنفسهم لآرائهم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ونعتقد أن هذا أمر طبيعى ، فإن الصحابة لاتصالهم بالرسول ﷺ ، ولقدرتهم على الاجتهاد ، كان الواحد منهم لا يرى حمل الناس على رأيه ، أما فى العصور التى جاءت بعدهم ، فحق الحق عرفان قدرهم تماما لهم ، ووجوب العمل بآرائهم التى لم يقولوا بها إلا ولها سند من كتاب الله أو سنة رسوله ، وقد كانوا بلا ريب أقرب إلى فهم ذلك فهما حقا لمن جاء بعدهم إلى هذه الأيام التى نعيش فيها ؟

محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق ـ بجامعة فؤاد

(١) إلى آخر ما قال ، فانه قيم حقا على طول فيه .

مكتبتنا العربية

كلمة فى الاجتهاد والتقليد

من نحو ست سنوات ندبتنى وزارة العدل فى سورية إلى إعداد مشروع لقانون الأحوال الشخصية ، وكان العمل فى محاكم الشام الشرعية (ولا يزال) بالراجح من مذهب أبى حنيفة إلا ما نص على غيره فى قانون العائلة الذى أصدره العثمانيون قبل الحرب الأولى وعدلوا فيه طائفة من الأحكام تشبه فى الجملة ما اشتملت عليه القوانين التى صدرت فى مصر قبل سنة ١٩٣٠ ، وبقى العمل بهذا القانون إلى الآن ، فكان المرجع القانونى للقضاة فى الأحكام الموضوعية قانون العائلة ، فإن لم ينص فيه على حكم رجع إلى كتاب الأحكام الشرعية لقدرى باشا رحمه الله ، وإلى كتب الفتوى فى المذهب كحاشية ابن عابدين وتنقيح الحامدية وجامع الفصولين وأمثالها من كتب المتأخرين .

فلما شرعت بإعداد المشروع جعلت كتاب قدرى باشا هو الأصل ، ووضعت أمامى قانون العائلة والقوانين المصرية ، وكتب المذهب والمذاهب الثلاثة الأخرى ، وغيرها من الكتب الفقهية ككتب الشوكانى وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وفقهاء الجعفرية . ونظرت فعرضت لى مشكلة : هل ينبغى الوقوف فى الترجيح عندما رجحه الفقهاء المتأخرون وعلى رأسهم الإمام ابن عابدين جزاه الله خيراً ؟ ثم جاوزت ذلك فسألت نفسى : هل يجب أن نقتصر فى التقليد على المذهب الحنفى ؟ ثم سألت : هل من الواجب علينا التقيد بالمذاهب الأربعة الرسمية ؟

وإذا أردنا أن نأخذ من غيرها ، هل نصنع كما صنعت مصر ، فنعين أولا الحكم الذى نراه أوفق للمصلحة ثم نفتش عن قائل به[1] ، سواء علينا أكان هذا القائل معروفا أم كان مجهولا ، وكان هذا القول مروياً بالسند المتصل أم كان مذكوراً عرضاً أو منقولا على لسان المخالف للرد عليه ! أم ننظر فى الدليل ، فإن قام دليله أخذناه ، وإلا نبذناه ؟

وجرتنى هذه الأفكار إلى تحديد موقفى (كما يقولون اليوم) من مسألة الاجتهاد والتقليد — ولما كنت قد نشأت نشأة غريبة ، قواليت الدراسة فى المدارس النظامية

(١) انظر كلمة الأستاذ المراغى رحمة الله عليه فى ضبط الجلسة الأولى للجنة الأحوال الشخصية ، وهو فى إدارة التشريع فى وزارة العدل المصرية .

مكتبتنا العربية

الابتدائية والثانوية والعالية ، وكنت مع ذلك أتردد صباحا ومساء على المشايخ ، وأجلس فى حلقاتهم وآخذ عنهم العربية والفقه على الأسلوب القديم ، وكنت قريباً من جوهم إذ كان والدى من أعيان علماء الشام وكانت إليه أمانة الفتوى فى دمشق ، فكان أول ما استقر فى ذهنى أن الاجتهاد سد بابه من قرن كذا (نسيت الآن من أى قرن سدوه) ، وأن القائلين بفتحه مبتدعة ووهابية لا يعتد بهم ، ولا يلتفت إليهم ، وأن للفقهاء طبقات فى التقليد ، عدها ابن عابدين فى أول الحاشية ، وأن علماءنا الأحياء من الطبقة الدنيا منها ، وأنهم ليسوا أهلا للتخريج أو الترجيح فضلا عن الاجتهاد .

ولكنى فكرت فى هذا المبدأ بحكم دراستى النظامية ونقدته بعقلى الآخر الذى كونته المدارس وعلومها ، فوضح لى أن هـــذا المبدأ صحيح إن كان المراد بالاجتهاد أن نلغى كل ما وصل إليه فقهاء المذاهب الأربعة ، ونؤسس مذهباً خامساً من جديد ، نضع له أصولا جديدة ونبنى عليها الفروع الجديدة ، فنكون كمن يهمل كل ما وصلت إليه صناعة الطيران ويعيد محاولة العباس بن فرناس ليضع طيارة يطير بها . أما إن كان المراد منع الاجتهاد إطلاقاً فليس بصحيح لأنها قد تجد أحداث لم تكن على عهد ابن عابدين ، ولا بد من بيان حكم الله فيها ، كثبوت رمضان بالبرق أو الهاتف (التليفون) ، وكصحة الجمعة بخطبة من الراد (الراديو) بدل الخطيب والكلام فيها ضرب من الاجتهاد ، ثم إن سد باب الاجتهاد بالكلية حظر على الله أن يخلق كأبى حنيفة ، وهذا محال .

فلما توثقت عرى المودة بعد ذلك بينى وبين العالم النبيل الشيخ محمد بهجة البيطار وهو ممثل مدرسة المنار فى دمشق (إن صح هذا التعبير) بلغتنى مقالة له يقول بمنع التقليد ، ووجوب الاجتهاد على جميع المكلفين ، وأعجبتنى هذه المقالة لجدتها ، ولأنها حررتنى من تلك التى كنت أشك فيها وأشكو منها . ولكنى لما أنعمت فيها النظر ، وجدتها أكثر إمعانا فى الخطأ من تلك وأبعد عن الصواب .

فحاولت أن أبعد عن ذهنى أقوال الطرفين ، وأن أجد السبيل إلى الحق بينهما ، فرجعت إلى أدلة الشرع فلم أجد نصاً فى المسألة ، ووجدت أن الصحابة كان يفتى منهم أقل من ثلاثين ويرجع الباقون إليهم ، ويأخذون بأقوالهم ، ولكن من غير التزام لمذهب واحد منهم بعينه ، أو تسمية لمقلد ومجتهد ، أو ذكر لاجتهاد وتقليد .

فلما لم أقع على نقل فى المسألة يوقف عنده رجعت إلى العقل ، فوجدت أن لكل علم من العلوم منقطعين إليه مشتغلين به ، وغرباء عنه زاهدين فيه جاهلين بأحكامه .

مكتبتنا العربية

فإذا كانت لك قضية فى المحكمة ولم تكن من أهل القانون اضطررت إلى الرجوع إلى المحامين و (تقليد) أحدهم فيما يؤدى به إليه (اجتهاده) ، وإن عزمت على بناء دار رجعت إلى المهندسين ، وإن مرض ولدك راجعت الأطباء ، فإن رأى الطبيب الذى درس فى فرنسا شفاء الولد فى علاج ، ورأى الطبيب الذى تخرج فى أمريكا مضرته فى هذا العلاج ، ولم يكن بد من (تقليد) أحدهما ، ولم يكن لك طريق إلى ترجيح واحد من القولين فماذا تصنع ؟

تستفتى قلبك - وتميل إلى ما يميل اليه !

وهذا هو حال المقلد العامى فى أمور دينه ، فلا بد إذن من التقليد فى علم الدين وفى علوم الدنيا ، لأنه يستحيل أن يكون كل إنسان عارفاً بكل علم ، له فيه رأى وبحث واجتهاد .

لكن إذا كنت تفهم شيئاً من أحوال هذا المرض - كأن سبقت لولدك الإصابة به وجرب العلاج وعرف أثره ، فإنه لا يمنعك من الترجيح ومن الرد على أحد الطبيبين أنك لست طبيباً ولا عالماً بالطب ، ولست عارفاً بأحوال الأمراض كلها .

وكذلك من بحث فى مسألة من مسائل الفقه ونظر فى أدلة من تكلم فيها - وكان له معرفة بعلم الأصول ومقدرة على فهم كلام العرب - لا يمنعه من أن يكون مجتهداً فيها أنه لا معرفة له بغيرها ، ولا يسعه تقليد من يقول بعكس ما أوصله إليه اجتهاده .

فإذا كنت أديباً متمكناً من العربية وراجعت فى مطولات كتب الفقه باب القراءة خلف الإمام - ونظرت فى أدلة كل فريق ورجعت إلى كتب الحديث فعرفت درجة كل حديث منها ، ومبلغه من الصحة - وكان لك إلمام بالأحوال - ورأيت أن الحق مع المالكية فى الإنصات عند جهر الإمام ، والقراءة عند إسراره ، كنت مجتهداً فى هذه المسألة ، ولم يجز لك أن تقلد فيها أبا حنيفة وإن كنت حنفياً ، بعد هذا الاجتهاد .

وفكرت بعد ذلك فى التلفيق - هل يجوز ؟ .

فرأيت أنه لا بد من التفريق بين التفليق عن هوى ، أو عن نظر واجتهاد ، وبين أن يكون من العامى أو من العالم .

أما التلفيق عن هوى ، أو من العالم بأنه تلفيق فلا يجوز ، وأما التلفيق عن بحث ونظر ، أو من العامى فجائز ، لأن العامى لا مذهب له ، ومذهبه مذهب مفتيه .

هذا كله للفرد الواحد ، ليقيم أمر دينه ، ويبرىء ذمته . أما فى التشريع للناس ، فلا بد مع النظر فى صحة الدليل ، من معرفة حاجة الناس ، وجعل العرف (إن كان عاماً) ومصلحة

مكتبتنا العربية

الناس من جملة الأدلة ، وهذا ما جرى عليه علماؤنا حين جعلوا من الأدلة رفع الحرج ، وعموم البلوى ، والعرف ، وبنوا على ذلك فروعا كثيرة معروفة ، وقواعد منها أن للإمام أن يأمر بالمباح فيصير واجبا (ذكر ذلك فى الحاشية والأشباه) ، وأن يأمر الحكام باتباع أحد القولين .

ولقد وجدت خلال اشتغالى بوضع مشروع القانون أن فى المذهب أحكاما ثابتة بالنص القطعى كمنع الوصية للوارث ، ولا أزال أعجب كيف خالفتها مصر ، ولا أجد لها وجهاً برغم المباحث والمناقشات الطويلة التى كانت بينى وبين الأستاذ العلامة الشيخ فرج السنهورى فى داره العامرة فى مصر وفى مكتبه فى وزارة العدل .

وأحكاماً فيها نص ، ولكن النصّ فيها كالفقرة الحكمية المبنية على (حيثيات) . أخذ قوم بالحكم وحده (وهم الذين كانوا يسمون بأصحاب الحديث) وقوم كانوا أبعد نظراً ، وأدق فهماً ، نظروا إلى (الحيثيات) والأسباب ، فلم يجعلوا الصاع من التمر فى مسألة المُصَرّاة هو القاعدة ، بل ثمن اللبن الذى أخذه المشترى من الضرع ، لأن النبى ﷺ ماحدد الصاع إلا لأنه كان عدلاً له ، ولعلّ من ذلك (فى رأيى) حكم الربا ، فى مبادلة القمح بالقمح مع الفضل ، فلقد كان ملاحظاً فيه أن القمح كله نوع واحد ، أفلا يتغير الحكم إن ثبت اليوم بالعرف العام أن القمح أنواع مختلفات بالخصائص والأثمان ؟

وأحكاماً مبنية على استقراء ، كتحديد أكثر الحمل بسنتين عندنا ولا يمنع مانع من تبديل هذه الأحكام إن ثبت بالاستقراء التام غير ما ثبت لدى الأولين بالاستقراء الناقص .

وأحكاماً مبنية على نص ، بوصف من الأوصاف ، لكن النص لا ينطبق عليها بوصف غيره ، كابن المحروم لا يرث من جده مع وجود الأعمام ، ولكن يعطى مثل نصيب أبيه (فى حدود الثلث) بوصف ذلك وصية واجبة .

وقد كان فى نفسى من ذلك شىء : كيف يحرم الله هذا الحفيد ونعطيه نحن ؟ وترددت قبل وضع هذا الحكم فى مشروعى ، وجادلت الأستاذ السنهورى فيه جدالا طويلا ، ثم شرح الله صدرى ، حين ذكرت أن المسلمين الأولين كان يكفيهم الندب لإعطاء هذا الحفيد ، فلما قصر الناس فى أداء المندوبات ، كان من المصلحة أمر الحاكم الناس به . وكان فى ذلك تحقيق الإعطاء الذى أراده الشارع حين ندب إليه .

مكتبتنا العربية

وأحكاماً مبنية على نص يقابله نص آخر ، وليس من مانع من الرجوع إلى النص الآخر ، كمسألة طلاق الثلاث بفم واحد .

وأحكاماً مبنية على اجتهادين : اعتبار مدلول اللفظ أو قصد المتكلم ، كمسألة الحلف بالطلاق أو استعماله للحث على فعل أو المنع منه ، ولا وجه لإيجاب أحد الاجتهادين حتما ، ومنع الآخر حتما .

وأحكاماً لم ينص عليها ، نستطيع أن نقررها سداً للذريعة كمنع المتزوج من الزواج مرة ثانية إلا بعد إثبات مقدرته على الإنفاق عليهما معاً ، وذلك خير من الإذن له بالزواج ثم الطلاق عليه لعدم الإنفاق ، أو تحقيقاً للمصلحة ، كمراعاة الكفاءة فى السن بين الزوجين ، وعدم الإذن بالزواج إن كان الفارق بينهما فاحشاً أربعين أو خمسين سنة مثلا ، أو إيجاباً لمندوب كأن تلزم من يطلق زوجته طلاقاً تعسفياً يؤدى بها إلى العوز والفاقة بتعويض فوق المؤجل يقدره القاضى .

* * *

هذه خواطر ما أردت بها الإحاطة بالموضوع ، ولكن فتح باب البحث فيه .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

على الطنطاوى
قاضى دمشق

أهل الفتوى الأولون

قال ابن القيم فى أعلام الموقعين (١ : ٩) :

الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة .

وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم . قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى عشرين كتابا . وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام فى العلم والحديث .

مكتبتنا العربية

شعار المؤمن
السمع والطاعة للحق والعدل

بسم الله الرحمن الرحيم .

« يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

آيتان محكمتان ، صدرت بهما طائفة من الآى الكريمة ، هى فى جملتها رسالة الرحمة ، توجهها السماء إلى أهل الأرض ، مناشدة إياهم أن يفيئوا من السلام إلى ظل ظليل ، يمحو من بينهم أسباب النزاع والخصام ، ومذكرة إياهم برباط الوحدة الإنسانية ، التى تسمو على فوارق الأحساب والأنساب ، والاجناس والألوان ، « كان الناس أمة واحدة » .

ولقد كان من بالغ الحكمة وجميل التلطف فى أسلوب هذه الدعوة ، أنها قبل أن ترقى إلى هذا الأفق العالمى الرفيع ، صعدت إلى منتصف الطريق ، فاختارت من بين الأسرة العالمية الكبرى ، أسرة كبيرة هى أحق بالترابط والتراحم فيما بينها ، تلك هى أسرة المؤمنين بالأديان السماوية ، الذين يجمعهم مبدأ الإيمان بالله واليوم الآخر ، نظمتهم الآية الكريمة فى سلك واحد ، وجعلت تناشدهم أن يلموا شعثهم ، ويضموا صفوفهم تحت لواء السلام الشامل « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » .

* * *

أول ما يعنى الباحث ههنا ، هو الكشف عن حقيقة هذا السلام الشامل الذى يدعو القرآن إليه أهل الإيمان .

فنحن نفهم فى العادة من كلمة « السلم » معنى : كف الأذى ، وترك الشغب والفتنة ، ونبذ الحروب والخصومات ، وبالجملة معنى المسالمة فى معاملة الناس بعضهم بعضا ؛ وهذا معنى صحيح فى ذاته ، غير أنه لا يمثل من السلام إلا عنصره السلبى ، ولا يصور منه إلا قشرته السطحية ، ومظهره الخارجى ، وكثيرا ما كان هذا المظهر طلاء خادعا ، يخفى وراءه الداء الدفين ، والضغن الكمين ، وإنما السلام الحقيق هو الذى يتقرر فى الآراء والعقائد ، قبل أن تحرر مواثيقه فى صكوك المعاهدات ، وقبل أن تطبق قواعده فى البر والبحر .

وكلنا نعلم أن القرآن الكريم ليس رسالة مدنية فحسب ، وأنه ليس كل همه تنظيم صور الحياة ومظاهرها ، وإنما هو قبل كل شىء تربية للعقول بالعقائد السليمة ، وتزكية

مكتبتنا العربية

للقلوب بالمبادىء الفاضلة ، التى متى نبتت بين الجوانح ، أينعت ثمراتها الطيبة على اللسان والجوارح . أجل إنه ليس من سنة القرآن أن يكتفى فى معالجة الأمور بذلك النوع من العلاج السطحى الجانبى ، ولكنه دائماً يأتى البنيان من قواعده ويسوس الامر من باطنه وأعماقه : يمكن للخيرات والفضائل بغرس بذورها ؛ ريكافح الشرور والرذائل ، باقتلاع جذورها .

السلام الذى يدعو اليه القرآن هاهنا ، هو إذاً شىء آخر ، أعمق من كل هذه المظاهر المادية ؛ إنه فكرة حية ، وحقيقة روحية ، هو عقد وميثاق بين المرء وقلبه ، يلتزم فيه كل امرىء أن يكون متجاوبا حقا وصدقاً مع المثل العليا التى يؤمن بها ، بحيث لا يثور تمرداً على تلك المبادىء إذا خالفت هواه ، ولا يعرض عنها كلما تعارضت مع ميوله ورغائبه ، فالدخول فى السلم هو الثبات تحت راية الحق فى خضوع واستسلام ، والانقياد لقانون العدل ، فى طاعة ونظام ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

هذا هو لب المعنى وجوهره فى لغة العرب ، وهذا هو حقيقة السلم ، وحقيقة الإسلام ، فى لغة القرآن ، وهذا هو الدين الذى دعا إليه جميع الأنبياء ، وهذا هو الطريق الوحيد لنشر لواء الأمن والسلام بين الأمم والأفراد .

ذلك أنه لا يستقر أمن إلا فى ظل الألفة والترابط ، ولا تدوم ألفة إلا على أساس مبدأ واحد ثابت ، ولا وحدة ولا ثبات إلا لمبدأ الحق الذى لا يتحول ولا يتعدد . وبضدها تتميز الأشياء . فليس على وجه الأرض فتنة وخصومة ، إلا كانت وليدة اختلاف ؛ ولا اختلاف يورث الخصام إلا أن يكون مبعثه تشعب الأهواء وتناقضها ، ولا تتشعب الأهواء وتتناقض إلا بمقياس بعدها عن جادة الحق ، وطريقه القويم : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن » .

هذا ولقد علمتنا التجربة والملاحظة المتكررة ، أن كثيراً ممن عندهم أصل الإيمان ، لا يعوزهم اعتناق المبادىء ، ولكن يعوزهم الثبات عليها ، وأنهم لا ينقم عليهم رفض مبادئهم والارتداد عنها ، بقدر ما يؤخذ عليهم تجزئة هذه المبادىء وتفتيتها ، وتركهم الميول والأهواء تعترض سبيلها ، وتقيم الحواجز أمام تطبيقها على عمومها : « يحلونه عاما ؛ ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله » .

مكتبتنا العربية

ومن هنا يعرف السر فى أن القرآن لم يكتف بمجرد الدخول فى السلم ، بل طلب أن يكون « كافة » عامة ، وأن يكون الإذعان لأمره إذعانا كليا ، شاملا كاملا ، لا قيود له ولا حدود ، ولا التواء فيه ولا استثناء . فتلك هى أنصاف الحلول التى يأباها القرآن ، وذلك هو مناط الذم ، الذى وجهه إلى كثير من أهل الأديان ، فنحن نراه - حين يضرب للناس أمثالهم - يعرف لنا المؤمنين الصادقين بأنهم هم الذين يعتنقون الحق جملة واحدة ، : يؤمنون بالكتاب كله ولا يفرقون بين الله ورسله ؛ وهم الذين إذا شرعت لهم القوانين العادلة لم يتبرموا بها ، ولو كان فيها ما تكرهه نفوسهم . ولم يتهربوا منها ، ولو كان من ورائها نقص شىء من حظوظهم وأمانيهم « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية » .

أما الذين فى قلوبهم زيغ ، فقد وصفهم القرآن بأن كل شىء عندهم منقسم : عقائدهم ، ومعاملاتهم ، وأحكامهم ، فأما فى عقائدهم فإنهم يؤمنون ببعض الحق ، ويكفرون ببعضه ، وكلما جاءهم داعى الحق بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، ففريقاً كذبوا ، وفريقاً يقتلون . وأما فى معاملاتهم فإنهم إذا لزمهم الحق لم يؤدوه إلا مكرهين ، « وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين » . وأما فى حكمهم على الأشياء وعلى الناس ، فإنهم لا يحمدون إلا الناحية التى يجب عليهم منها ريح الغنيمة : « فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » .

على أن الذى يذعن للحق فيما يرضيه ، ويعرض عنه فيما يسخطه ، ليس فى الحقيقة مذعناً له فى واحدة منهما ، ولكنه مستسلم لهواه فى كلتا الحالين .

ومهما يكن من أمر ، فإن التمرد على الحق كلا أو بعضا ، لا يمكن أن يكون نزعة من نزعات الإيمان ، وإنما هو نزغة من نزغات الشيطان ، لا جرم حذرنا الله منه أشد تحذير ، حيث قال - جل شأنه - : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » ، فكان صدر الآية تبصيراً بطريق الهداية ، وعجزها تحذيراً من طرق الغواية .

وهكذا كل قيادة حكيمة ، تبدأ بالبيان والإرشاد ، وتثنى بالنصح والتحذير ، فإذا أصر الناس على العناد بعد أن تبين لهم الرشد من الغى ، لم يبق إلا أن يؤخذوا بالحزم والعزم ، وآخر الدواء الكى : « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم » . وصدق الله العظيم .

محمد عبد الله دراز
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

من صور القوة في القرآن

ما أعذب الماء البارد على شدة الظمأ ! وما أجمل القوة العادلة عندما تنساب برداً وسلاما فتحسم المظالم النازلة على الأفئدة الكسيرة ، وتطفىء الآلام التى برحت بالمظلومين والمستضعفين . . .

إنه لا يعرف فضل القوة المؤيدة للحق إلا من شقى تحت وطأة الطغيان دهراً طويلا ، إنه يستقبل طلائعها استقبال المقرور للدفء ، واستقبال الهيمان للإلف ، إنه يعتبر زحفها بوارق الصبح تشق جنح الظلام ، ومعالم اليقظة تغزو البصائر والأبصار . .

وسلنا نحن — الذين طالما ناشدنا المستكبرين أن يتواضعوا ، والغاوين أن يرشدوا — سلنا نحن — الذين طالما ناشدنا الظالمين أن يعدلوا ، والعابدين لأنفسهم وهواها أن يوقروا ربهم ودينه — سلنا نحن — الذين بحت أصواتنا فى التذكير بآيات الله والحكمة ، فلم نجد إلا صداً وعلوا ، وحمقاً وعتواً — سلنا : كم تكون الفرحة ملء جوانحنا حينما نجد السيف قد قوم الصعر ، وأدب البطر . . . وأكره الطاغوت أن يتضاءل ويتطامن ، ويستمع للحق الذى كان يصم أذنيه عنه ، ويستسلم للقصاص الذى كان فى منجاة منه . . .

ما أنبل القوة العادلة عندما تحق الحق وتبطل الباطل ، بعد ما كادت النفوس تزهق من باطل لبس مسوح الحق ومشى فى الأرض مطمئناً ، ومن حق علته زراية الباطل فتوارى عن الأعين مخذولا ضائعاً . . . !!

إن القوة التى تقيم بين الناس الموازين القسط هى ما أمر الإسلام بإعداده ، وحض على بذل النفس والنفيس فيه .

وفى القرآن سورة يصح أن توضع آياتها فى إطار من المدافع المتشابكة والقذائف الملتهبة . لأنك تلمح فى كلها القوى صورة الصراع الدامى بين جند الرحمن ، وجند الطغيان ! وترى الفريقين وقد ارتجت من تحتهما الأرض ، وثار من فوقهما النقع ! ثم انجلى القتال بعد ما كتب النصر لأهدى الفئتين وأرضاهما لله ، فتذكر قول الشاعر :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ... وأمدكم فلق الصباح المسفر !

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر !

مكتبتنا العربية

أما هذه السورة فهى سورة (العاديات) .

بدأت بوصف رائق لخيل المجاهدين وهى تنطلق بأصحابها إلى الميدان ! إنها تركض حثيثا إلى غايتها ، تهب البر وتخرق الريح ، وبصدورها علو وهبوط من تتابع الأنفاس واطراد العدو ، وفوقها فرسانها المغاوير يتسابقون إلى لقاء العدو . . .

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم لا من شدة الحُزُم

ذاك ما أخذت السورة تصفه . فجاءت آياتها على هذا النسق « والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعاً » .

فإذا أحسست ضبح الخيل من طول لهثها ، أحسست كذلك انقداح الشرر تحت سنابكها وهى تضرب الصخور فى طريقها إلى ضرب المبطلين ، وتورى النار التى سوف تحرق وتضيء ، تحرق جلود الطغاة ، وتضيء سبل المعذبين المقهورين .

ثم نجيء بعد ذلك غارة الصباح ، وماغارة الصباح ؟ إنها الضربة المفاجئة تنزل بالغاوين على حين غرة فيستيقظون من غفلتهم على مس العقاب ، ولات حين مناص .

إنهم ظنوا أن الدنيا دانت لهم ، وأن الأوضاع استقرت تحت أقدامهم ، وأن الفضائل التى طاردوها لن تجد من يحميها ، وأن الرذائل التى ألفوها لن تجد من يدوسها ، فناموا ، وهم آمنون ! بيد أن للحق حراساً تسهدهم الآلام ، ويؤرقهم ماتلقاه الحياة من عبث الطواغيت بأقدار العباد والبلاد ، إنهم يتحينون الفرص ، حتى إذا سنحت انقضوا على المجرمين انقضاض الصواعق ، فإذا الليالى تتمخض عن المغيرات صبحا ، يطالع الناس أنباءها مع مطالع الفجر .

حدث قديما قتال بين المسلمين واليهود . فزحف النبى ﷺ ليلا بجيشه على حصون خيبر ، فصحا اليهود مع الفجر ، ورأو الصحابة محيطين بهم . فقالوا : محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، هلكت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين !

إن العاديات المغيرات مع الصباح ليست جيوش استغلال ونهب ! إنها القوة جاءت مع موكب النور لتحرير العبيد من أوهام الظلام ، ولتحقق الهدف الأسمى من نزول القرآن « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم ، إلى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض » .

مكتبتنا العربية

وإذا انطلقت القوى العادلة من مكامنها لتؤدى رسالتها فإن الاصطدام بالجموع المتألبة المنحزبة ، وثوران النقع فى جو المعركة هو أول ما يتبادر إلى الذهن ، ذلك أن الباطل المستعلن بفجوره ، المستغرق فى غروره ، لا يتخلى عن ضلاله القديم بسهولة ، وربما تفانى فى التشبث بآثامه وأوزاره !

ومن ثم فلن يستطيع تأديبه إلا رجال لهم جرأة فى الحق تربو على جرأة عدوهم فى الباطل ، ولديهم حرص على التضحية فى سبيل الله أشد من حرص أعدائهم على المغامرة والسطو ، والاحتفاظ بمكاسبها الحرام ...

ونحن إذا راقبنا سير الطغاة فى الأرض وجدنا السياسة التى يظفرون بها أول أمرهم لا تعود إلى خصائص القوة فى أنفسهم قدر ما تعدد إلى آثار الوهن فى صفوف غيرهم ...

حتى إذا رزقت المثل العليا بأتباع من أولى النجدة والفداء ، لم تلبث الحياة أن تعود إلى رشدها ، ولم تلبث الأصنام المقدسة أن تستحيل إلى أنقاض مبعثرة فى الرغام ... !!

وكيف تتم هذه الآيات الباهرة ؟ تتم بالقوة وحدها حين تنجد الحق المهزوم والخير المكلوم ... فلا عجب إذا أقسم القرآن بأدوات هذه القوة ومجد طريقة عملها ، والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ، ...

إنه أقسم بصرامة الدواء على شدة الداء . أجل . فربما كان استخدام القوة عملا ينطوى فى ظاهره على خشونة وقسوة . لكن هذه الخشونة وتلك القسوة تعتبران برا كريما وفضلا عظيما يوم تكونان علاجا للكنود والعدوان والتبجح ، وكم ابتليت الحياة بمن ملأ فجاجها بهذه الخلال الخسيسة فحولها جحيما تشقى فيها الأفراد والجماعات ...

فكيف النجاة من هذه الكروب إلا بالقوة العادلة ، القوة التى تجعل الشاعر يقول :

إذا الملكُ الجبار صعَّر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !

وعلاج الجبروت بالسيف عدالة تحمد لأصحابها فى الأرض والسماء.

وقد أقسم الله بالعاديات وما واءها على هذا المعنى إذ قال : « إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد » جحود حق الله ، والمغالاة بذلك ، والاستئثار دون الناس بالخير : هذه هى أسباب الفساد التى يجب أن تستأصل . ولن تستأصل بالنصح والإرشاد إلا إذا كانت رذائل فردية هينة ، أما إذا قام لها ملك ، وشرعت لتدعيمها رماح ، فلا يفل الحديد إلا الحديد .

مكتبتنا العربية

وكان الإسلام يود لو أنصف الناس من أنفسهم بالعقل والحكمة ، بدل أن يلتزموا الإذعان بالقهر والعنف ، غير أن غرائز السوء غلبت فلم يبق من قمعها بدٌّ .

والأديان لا تحمل السلاح إلا مكرهة ، وأنبياء الله كافة كانوا يمنون لو استمسك الناس بفضائلهم ، وتعرفوا إلى ربهم وكرسوا حياتهم فى شكر أنعمه ، وأحيوا ضمائرهم بمراقبته ، وأحسنوا الاستعداد للقائه .

فلا غرو إذا اختتمت هذه الصورة العسكرية بمناشدة الإنسان أن يلتزم هذه المعانى الطيبة النبيلة . « أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير » .

والحق أنه لو توفرت بين الناس الصدور السليمة ، وتركزت فى قرارة أفئدتهم حدود الثواب والعقاب ، فإنه لن يكون ثم مكان للحرب والضرب ، أما مع طغيان الأثرة وانفلات الزمام فسيبقى العالم محتاجا إلى القوة التى تقر العدالة ، العدالة والنظام ، مثل حاجته إلى الشراب والطعام ! ! وسرى أنفسنا منساقين إلى تمجيد هذه القوة الكريمة ؟

محمد الغزالى

من التوجيه المحمدى :

المسلمون كما يريدهم الاسلام

فى كتاب البر والصلة والآداب من صحيح مسلم (٨ : ١٠ الطبعة السلطانية) من حديث أبى سعيد مولى عامر بن كريز عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا .

« المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره .

« التقوى هاهنا (ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات) . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم .

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » .

مكتبتنا العربية

الحديث النبوى
مقاصده ، ألفاظه ، معانيه

أردت أولا أن أجعل موضوع هذا البحث (البلاغة النبوية) فقط ، ولكنى رأيت ذلك لا يشمل الحديث عن مقاصد الكلام النبوى الكريم ، وما فيه من توجيه صالح وثقافة تهذيبية وإرشاد سام يشبه النفس العظيمة التى صدر عنها ، ويرتفع بمستوى النفس البشرية عن كل رعوناتها ، حتى يصل بينها وبين السماء بأقوى وصلة وأحكم رباط . وذلك شىء يفوت على وعلى القارىء الكريم فرصة حبيبة إلى كل نفس مسلمة ، فإن الحاجة إلى التأنق بين رياض الإسلام ومقاصده الشريفة يتجلى فى موضوعات حديث صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ،ليست أقل من الحاجة إلى معرفة البلاغة النبوية على نحو هذه المحاولة فإنها ناحية فنية كمالية لا يتطرق العوز بها إلى كل شخص ، فأما مقاصد الإسلام فإنها ضالة كل إنسان فى الوجود ، والتعريف بها ولو على وجه كلى مجمل توجيه إلى كل فرد وكل جماعة وكل أمة كيف تسلك سبل النجاة والرفعة فى دينها ودنياها من أقرب طريق وعلى أصح وجه .

وأظن أن القارىء الكريم فى غير حاجة أن يعلم أن معنى البلاغة النبوية شىء خاص يرجع إلى دراسة الألفاظ ومزاياها فى دلالتها على معانيها وما فيها من صفات وجازة أو بسط ، وتقديم فى الأسلوب أو تأخير أوحذف وفصل بين الجمل أو وصل ، وما إلى ذلك من أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال كما يقولون . وذلك شىء فى ذاته يجرى مع كل عرض سما أو نزل . ويقع فى الهجر والإثم كما يتحقق مع الحق والحكم ، ويكون مع الحطيئة والفرزدق أقوى مما يكون مع الحسن البصرى أوالحسن بن على أحيانا .

لهذا جعلت موضوع هذه المحاولة (الحديث النبوى) من جميع نواحيه سواء منها ما يتصل بأغراضه ومقاصده ، وما يتصل بألفاظه وبلاغتها ، وما يتصل بمعانيه وامتيازها فى لطفها مع بساطتها ، وعلوها مع دنوها ، ويسرها مع اعتياصها على محاولها . وسترى تصوير ذلك كله مقربا ميسرا إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

فأما موضوع الحديث النبوى ومقاصده ، فإنها رسالة الإسلام العظمى التى قامت على هداية الناس ودعوتهم إلى ما يرفع مستواهم ، ويصلحهم فى دينهم وآخرتهم ودنياهم من أقرب الطرق وعلى أصح الوجوه ، ذلك هو سبيل الكلام النبوى الشريف : لا ينطق عن الهوى ، ولا يلفظ العوراء ، ولا يقرب الخنا حتى إنه كان إذا مزح لا يقول إلا حقاً ، وإذا أراد إخفاء أمر عرض فى قوله فكان صدقا ، يقول فى بعض حديثه « إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب » .

لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان الخير يتضوع من جميع جوانبه ونواحيه ويتمثل فى قوله كما يتجلى فى فعله . وكان يأبى إلا أن يكون مشرعا أمينا وناصحاً مبيناً . فهو يتوقف عما لم يوح به إليه فى مقام التعليم ، ويقول لمن سأله عن الحجج : أفى كل عام يا رسول الله ؟ « لو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا . إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم » .

وليس معنى ذلك أن كلام النبى صلى الله عليه وسلم كان وحيا كله ، ولا أنه كان تشريعاً فى جملته وتفصيله ، فإنه صلى الله عليه وسلم كانت له ناحية البشرية التى تحقق له بعض الملذات وتمتعه أحيانا بالطيبات ، يقول القول أحيانا فلا يمضيه لأن الله يصرفه عنه إلى ما هو خير منه . وذلك هو معنى العصمة فى جانبه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره عن رافع بن خديج : « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من دنياكم فإنما أنا بشر » .

وهذا شىء لا أريد أن أخوض فى تفصيله ولا هو من شأنى الآن ، إنما أريد أن أصور أن حديث رسول الله فى جوانب الخير ونواحى الإصلاح ، وأنه لم يكن يتناول من الموضوعات إلا ما يتفق مع سمو شخصه ، ويتناسب مع رسالته . وإنه وصف فى التوراة والإنجيل بما يحقق فيه الأسوة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخـــر ، ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الأسواق ، لا يقابل السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح . ووصف فى القرآن الكريم بقول الله سبحانه « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » . ووصف فى السنة بأن مجلسه لا تؤبن فيه الحرم . وأنه لا يسمع القبيح ولا يقره ، فمحال أن يصدر عنه . ومن

مكتبتنا العربية

شاء فليتابع كل ما نقل عنه الناقلون فى أخباره وسيرته ، هل يرى فيها إلا ما يشبه رسالته ويناسب صفته ، من قول صالح وعلم نافع .

موضوع السنة النبوية الكريمة إذاً هو كل ما تشتهيه النفوس السليمة مما يدعو إلى تقوى الله ، وصلاح المجتمع ، ومقاومة كل رعونة فى الأرض من ظلم وبغى ، أو حسد ، أو مكر أو سقم فى العقل ، تقع فيه روضات فيح وجنات ، وتزكية من الضلالات ، فإنك فى حديثه ومع سنته كصاحب المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد ريحاً طيبة .

وإليك بعض الصور من تلك من المقاصد السامية والاغراض الكريمة :

من أغراض السنة الكريمة بيان دعوة المرسلين جميعاً من عبادة المستحق للعبادة وهو الله وحده . وإفراده سبحانه بكل مظاهر التعظيم ، وإخلاص الأعمال كلها لوجهه .

فما جاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا » ، « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »

وعن مالك بن عوف الأشجعى قال : « كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا : علام نبايعك يا رسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس (وأسر كلمة فى خفية) قال : ولا تسألوا الناس شيئاً . فلقد رأيت أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه » . وهذا الغرض أساس الإسلام ومحور الدين الكريم .

ويتصل بذلك الدعوة إلى عزة الإسلام ، وعدم الخضوع والذلة لمخلوق أيا كان .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو أجمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .

ومن أغراضه الكريمة مقاومة خرافات الجاهلية وجهالاتها من التفاوت بين الناس ، ونظام الطبقات ، واعتداء القوى على الضعيف ، وما إلى ذلك مما أشاعته الفوضى والجهالة بلا عقل سليم ولا منطق مفهوم ، وما أكثر هذا الغرض فى السنة ، كقوله صلى

مكتبتنا العربية

الله عليه وسلم « أنهاكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، ووأد البنات ، ومنع وهات ، إن الله تعالى قد رفع عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، دعوا دعوى الجاهلية ذميمة . لا حمى إلا لله ورسوله ، لا عدوى ولا صفر ولا هامة ، من أتى منجماً أو كاهناً أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد . من حلف بغير الله فقد أشرك . الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

ومن أغراضه الكريمة الدعوة إلى مكارم الأخلاق من العدل والإحسان بين الأخ وأخيه وبين الراعى والرعية وتعهد بعض الناس لبعض بمعونة الضعيف وإغاثة اللهفان ، وإطعام الجائع وكسوة العارى ، ومن بسطة الوجه وحسن الخلق وتوطئة الأكناف وكل ما يبعث على المحبة ويغرس الألفة والمودة ، حتى يعيش الناس إخوانا متصافين يشيع فيهم السلام والوئام فيعبدوا الله ، ويسعدوا فى هذه الحياة ، بما لو أخذ العالم ببعضه لكانت الدنيا جنة لأهلها . لا جحيما كعهدك اليوم بها .

وإليك بعض ما فى السنة الكريمة من ذلك :

« كل سلامى من الناس عليه صدقته . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، ودليل الطريق صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .

ألا بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما تركت بابا من الخير فيه سعادة إلا وجهت إليه ، ولا تركت بابا من الخير فيه مساس بإنسان أو حيوان إلا نهيت عنه .

وفى الصحيح أيضاً « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

« ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة » .

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق » .

مكتبتنا العربية

« إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون » . وما أكثر ذلك الإرشاد والرشاد فى السنة المحمدية .

وهو صلى الله عليه وسلم يحث على احترام حقوق المسلم ، ويحرم دمه وماله وعرضه ويقول : « من قطع رجاء أخيه قطع الله رجاءه » . « إذا أشار الرجل على أخيه بالسلاح فهما على حرف جهنم » .

وهو صلى الله عليه وسلم يوصى بالمرأة ، وينفى ما كانت عليه الجاهلية من إهدار آدميتها ، ويرفع من شأنها ، ويأمر بمراقبة الله فيها فيقول فى بعض ما يحدث :

« ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

ومن أغراضه الكريمة التزهيد فى الدنيا حتى تصفو النفس وتستقبل المكارم ، وحتى يتحاب الناس ويعرف بعضهم حق بعض . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى فى بدنك آمناً فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

ولو أننى ذهبت أتتبع ما جاء من أغراض فى التشريع الصالح ، والإرشاد المنقذ الشامل ، لخرجت عن القصد ، ولما استطعت . فإن موضوع ذلك الأسفار الضخام من كتب السنة الكريمة . ولكننى بصدد الإشارة بسمو غرضه ، والإشارة إلى بعض اتجاهه وتوجيهه ، وبيان أن كلامه صلى الله عليه وسلم أسمى كلام فى مقاصده ، كما أنه أسمى شىء بعد كلام الله فى بلاغته . فلأدع المجال للتحدث عن سمو لفظه ومعناه . فى مقام آخر إن شاء الله .

محمود النواوى

مكتبتنا العربية

العربية بين الجزر والمد

تتصارع اللغات وتتطاحن كما يتصارع الأفراد ويتطاحنون سواء بسواء ، ولكن صراعها وتطاحنها لا يكون عادة واضح المعالم سريع النتائج ، بل هو صراع بطيء هين فى سريانه رغم عنفه وجبروته . طبيعة ركبت فى اللغة كما ركبت فى الأفراد ! ولا غرو فان حياة اللغة رهينة بحياة الأفراد .

وقد يتبادر إلى الذهن لاول وهلة أن المنازعات والحروب التى تقوم بين الشعوب والجماعات هى السبب فى ذلك الصراع الذى يقوم بين اللغات . وهذا فى الواقع صحيح ولكنه ليس كل السبب ، بل هو سبب يصح أحياناً ولا يصح أخرى ، والمرجع فى ذلك إلى مدى قوة اللغتين المصطرعتين : لغة الغازين ولغة المغزوين . والمد الذى حدث للغة العربية فى فارس ومصر أوضح مثال على ذلك ؛ فالعربية - وإن تفاعلت مع الفارسية تفاعلا لم يمح للفارسية شخصيتها (نحوها وصرفها وتركيب عبارتها) - قد استطاعت فى مصر وفى أزمن وجيز نسبياً أن تطغى على لغة المصريين طغيانا عارما وأن تفرض نفسها عليهم .

ولكن يبدو أن هذا هو أوضح ألوان الصراع بين اللغات . وسببه المباشر هو الحروب ، غير أن هناك أسبابا أخرى غير الحرب تؤدى إلى ذلك الصراع بين اللغات ، وهى أسباب مادية جديرة بالملاحظة ، وهى تعمل عادة فى شبه خفاء ، وهى بطيئة الأثر بطيئة النتائج . ولعل السبب فى هذا البطء أن صراع اللغات الناشىء عن صراع الأفراد يقطع مرحلة حاسمة على أيدى المصطرعين أنفسهم ، فيفرض الغازون لغتهم على المغزوين مثلا أو يستدرجونهم إليها بشتى الوسائل .

أما فى حالة الصراع الناتج عن غير ذلك من الأسباب ، فإن عملية الفرض هذه أو الاستدراج لا يكون لها وجود ، وتكاد تقف اللغتان المصطرعتان وحدهما فى الميدان دون عامل خارجى ملزم من الأفراد . وهنا يكون التطاحن اللغوى بالمعنى الصحيح . وهنا تتغلب اللغة أو تنهزم وتفتح صدرها للغة الغازية تبعا لمدى قوتها ومدى إمكانياتها العقلية والمادية على السواء .

ولعل من أهم أسباب اصطراع اللغات ، الحالة الفكرية والاقتصادية والدينية والاجتماعية للشعوب المصطرعة لغاتها ، فتقدم الحياة العقلية فى أمة من الأمم عامل كبير فى نشر لغتها وتسربها بين صفوف اللغات الأخرى فى الأمم التى تقل عنها فى مستوى الحياة العقلية . واليونان والرومان شاهد على ذلك ؛ فقد كان اليونان فى الذروة من التقدم الفكرى ، بينما كان الرومان فى مستوى فكرى منحط ، ولذلك فإن أثر العقل اليونانى فى العقل الرومانى

مكتبتنا العربية

واضح لا ينكر ، ومن الشائع فى كتب التاريخ والحضارة أن الرومان فتحوا اليونان عسكريا بينما غزاهم اليونان عقليا . وهنا يتضح لنا إلى أى مدى يصح القول بأن الحروب هى السبب كل السبب أو السبب الأصيل فى تغلب لغة على أخرى ، فقد رأينا المغزوين ينهزمون أمام الغازين فى ميدان الحرب حقا ، ولكنهم ينتصرون عليهم فكريا .

وأما الحياة الاقتصادية فان عامل التجارة له أثر لا يخفى فى احتكاك لغة المتجرين ، وإذا تصورنا بلداً قفراً مجدبا يعتمد أهله على ما تنتجه البلدان الأخرى ، وإذا تصورناهم يرحلون إلى هذه البلدان يشترون ما يلزمهم ، فإنه يكون من السهل علينا أن نتصور أيضا إلى أى حد تشيع لغة أهل هذه البلدان فى لغة أهل ذلك البلد . ذلك أنهم سينقلون إليهم البضائع بأسمائها كما وضعها أهلها .

وإذا تصورنا هذه البضائع لا على أنها الأشياء التى تؤكل فحسب بل على أنها كل مايلزم الإنسان فى حياته من أدوات منزلية ، وفى حقله من آلات زراعية ، وفى حربه من معدات حربية ، وما يلزمه لحياته الصحية من أدوية وعقاقير ، وما يلزم حياته المترفة من وسائل الترفيه . . . الخ ، إذا تصورنا ذلك سهل علينا أيضا أن نتصور كمية الألفاظ التى يستخدمها المستوردون بالضرورة من لغة المستورد منهم . وإذا عرفنا أن تفكيرنا دائما يحتاج إلى المحسوس يركب منه صوره العقلية ، وأن يختار هذا المحسوس من الأشياء الواقعة بيننا الملابسة لحياتنا ، استطعنا أن ندرك مدى خطورة العامل الاقتصادى فى صراع اللغات .

ثم يأتى عامل الدين ؛ وهو عامل لا يقل عن العاملين السابقين أثرا فى صراع اللغات . فلكى يفهم الإنسان دينا من الأديان يحسن به أن يعرف لغته ، ولكى يدخل الإنسان فى دين من الأديان يعتقد عقائده ويؤدى شعائره ، يتحتم عليه أن يتقن لغته . وهل كسبت العربية من غلبة وانتشار فى الشرق والغرب ، وما زالت تمارس هذا الكسب ، بغير عامل الدين ؟

وفيما يختص بالعامل الاجتماعى فإن اللغة ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول ، وحياتها من حياة المجتمع الذى تعيش فيه ، تصطبغ بكل ما يطغى عليه من مبادىء وما يجرى فيه من تيارات . والمجتمع الزاخر بشتى ضروب الحياة ، الذى تأصلت فيه الطبائع واستقرت فيه العادات ورسخ فيه العرف ، يمنح لغته نوعا من التماسك والقوة والثبات ، لا يمنحه المجتمع المتهافت المفكك المختلف العناصر المتضارب المشارب للغته .

والعرب حين فتحوا الأندلس مثلا لم يكن فيها شعب واحد من جنس واحد وديانة واحدة . . . بل كان هناك أجناس مختلفة وعقائد مختلفة وألسنة مختلفة ، فلم يكن بينها تماسك ، ولم تكن وحدة سياسية متعاونة متآزرة . ولذلك سرعان ما استقرت لغة العرب هناك وظهرت غلبتها .

مكتبتنا العربية

وأيا ما كان الأمر فإن صراع اللغات وإن اعتمد على مثل هذه العوامل والأسباب التى تـد خارجية بالنسبة للغة ، أى خارجة عن نطاق اللغة ، فإن الذى لا شك فيه أن هناك أسبابا أخرى تنبع من طبيعة اللغة ذاتها التى تنزل الميدان . وطبيعة اللغة هنا هى بعبارة أخرى عبقرية اللغة . وعبقرية اللغة هى مجموعة الصفات والخصائص التى تتميز بها لغة عن أخرى . وتتحدد هذه الصفات فى نحو اللغة وصرفها وتركيب عباراتها وفى تاريخ تطورها . ثم هناك صفات أخص من هذه وإن لم تكن تقل أهمية عنها كالناحية الصوتية (نظام المقاطع والحروف وعددها فى الكلمة وعدد الأصوات المستخدمة سواء من الحروف المفردة كالحرف S فى الإنجليزية مثلا ويقابله حرف السين ، أو المركبة كالحروف Sh فى الإنجليزية و Sch فى الألمانية وهى تقابل حرف الشين فى العربية) . وهناك أيضاً الناحية الفنية وهى ما نستطيع تسميتها بذوق اللغة . فهذا الذوق يقبل أن يرفض من الألفاظ الطارئة ما يتماشى معه أو ينبو عنه . فإذا كنا نجد الأذن الألمانية مثلا ترتاح لصوت حرف الـ G المتكرر ثلاث مرات فى كلمة قصيرة مثل Gegangen (ججانجن) فإن الأذن العربية تنبو عنه وتنفر منه ولا تفكر فى استخدامه .

هذه العوامل الداخلية ، أى التى تنبع من صميم اللغة هى ما سميناه بإمكانيات اللغة فى بداية هذا البحث . وهذه العوامل الداخلية متضافرة مع العوامل الخارجية التى سبق بحثها من فكرية واقتصادية ودينية واجتماعية هى التى يجب مراعاتها وبحثها عندما نحاول الكلام عن تاريخ الصراع الذى قامت به لغة من اللغات جزراً ومداً .

واللغة العربية كما نعرفها لها نشاط واسع النطاق بعيد التاريخ فى ميدان الصراع اللغوى ، ويكفى أن نعلم ـ وهو بلا شك معلوم لدى الجميع ـ أنها هى الخلاصة التى نتجت عن صراع محلى ، هو ذلك الصراع الذى شهدته اللهجات العربية المختلفة التى كانت سائدة فى شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وهذا الصراع المحلى لا يختلف فى عوامله وأسبابه عن ذلك الصراع الخارجى أو العالمى للغات ، ولكن ربما لا يكون معلوما لدى الجميع أن فى هذه اللغة ، مأثوراً كبيراً دخل إليها فى حالة من حالات الجزر التى تصيب اللغة ، وهذا المأثور لا يقتصر على المفردات كما قد يتبادر إلى الأذهان بل يمتد إلى أركان الجملة . وهناك محاولات جريئة يقوم بها الدكتور فؤاد حسنين تقوم على المقارنة بين اللغات السامية القديمة السابقة للعربية فى صورتها الأخيرة لتبين مدى ما أخذته اللغة العربية من تلك اللغات من خصائص وصفات ، وقد حاول جويدى Guidi فى كتابه « بلاد العرب قبل الإسلام

مكتبتنا العربية

L'Arabie Antéislamique » أن يقدم أمثلة على مدى أخذ العربية من اللغات الأخرى . فهو يذهب إلى أن حضارة البيزنطيين والفرس وبذخهم أيضا كانا متغلغلين فى شبه الجزيرة يؤكد ذلك ما اصطنعه العرب عن هذين الشعبين من كلمات ، ولكن اللغة العربية لها خاصية عجيبة فى تعريب الكلمات الأجنبية ، فكلمة صلدى Soldi (Sous) الإيطالية تجمع على صلادى ، وهى صيغة عربية خالصة ، من الصعب أن تعرف منها الكلمة الأجنبية ، وهذا يدلنا فى الواقع على استقرار نظام الصرف فى هذه اللغة بحيث لا يؤثر فيها نظام صرف اللغة المأثورة . فإذا كانت الكلمات الطارئة من أصل سامى شديد الشبه بالعربية تضاعفت صعوبة القول بما إذا كانت دخيلة أم أصلية .

ويذهب جويدى إلى أن العرب البدو كانوا يحقرون الزراعة ، ومن هنا كانت الكلمات التى تتعلق بالزراعة من أصل آرامى ، ومن أمثلتها كلمة « نير Nîr » أى مقرن البقر وكلمة « ناطور » أى حارث الكروم وهى فى الآرامية Natorâ وكلمة « فدان » وغيرها . ومما ورد إلى العرب من الخارج كلمة « بندق » وهم يجمعونها على بنادق كأنها أصيلة فى العربية وليست هى غير النكس بنتيكا وتكتب Nux pontica المعروف فى مملكة بنت ولذلك سمى باسم إقليمه الأصلى ، وقد صارت بنتيكا فى الآرامية إلى بنداق وفى العربية إلى بندق ، ومثل ذلك كلمة « زيتون » جاءت عن الآرامية ، ومنها أيضا جاءت كلمة قنديل وأصلها اللاتينى Candela صارت عند الإغريق كانديلا ، ومثل ذلك كلمة سراج وكلمة نبراس .

وهذا كله يدلنا على الأثر الاقتصادى فى حياة اللغة العربية وفى تاريخ صراعها ، حتى إذا تبلورت العربية فى صورتها الأخيرة وأصبحت اللغة السائدة ، وتم لها نظام نحوى وصرفى ومحصول لغوى كامل ، امتدت مع فتوحات المسلمين شرقا وغربا واستقرت فى البلدان المفتوحة بفضل الدين الجديد وبفضل أهلها ، وإن انتهى بها هذا الصراع إلى أن تتشكل فى كل أمة إلى حد كبير بحسب مزاجهم اللغوى واستعدادهم ، ولم يعد العرب - كما يقرر جويدى - يتطلبون عند الشعوب الأخرى لا الأفكار الدينية ولا الحياة المترفة ولا المنتجات الصناعية ، ولكنهم يتطلبون لديهم شيئاً واحداً هو العلم اليونانى ، وينتقل هذا العلم إلى العرب فى عهد المنصور وهارون الرشيد ، وعلى وجه الخصوص فى عهد المأمون ، ينقله العلماء السريان الذين كانوا همزة الوصل « مثل حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا » وغيرهم . وقد عمل تأثيرهم الفكرى فى علماء المسلمين بسهولة ، وذلك بفضل التسامح الذى كانوا متمتعين به بمقتضى الذمة ، مما سهل اتصالهم بالمسلمين ، وصارت الرياضة والنجامة والطب والفلسفة موضع

مكتبتنا العربية

دراسة العلماء العرب . وشخصيات الكندى والفارابى وابن سينا والرازى والفرغانى والبتانى وابن رشد مشهورة فى الشرق كما فى الغرب الذى صارت فيه أسماؤهم :

Alfraganus, Rhasé's, Avicenne Averrhoe's, Albatignius.

ويؤثر العرب الآن بدورهم فى أوربا نفسها الى أفادت من مؤلفاتهم مثلما أفادت من منتجاتهم الصناعية ؛ فقد أدخلوا فى إسبانيا وصقلية كثيرا من النباتات النافعة ، كما أرسلوا إلى الغرب الأقمشة والمنتجات الثمينة المعروفة بأسمائها العربية. وكلمة « قصر » العربية هى Castrum اللاتينية صارت إلى كاسترون اليونانية ثم صارت إلى قسطرا فى السريانية وإلى قصرا فى الآرامية الغربية ، ومنها قصر العربية . ثم تنتقل قصر العربية إلى كيرسرو Cassera فى الإيطالية والكازار Alcazar فى الاسبانية .

والكلمات التى من أصل عربى كثيرة فى اللغات الأوربية المعاصرة . ومن أمثلتها كلمات : Alcôve وهى فى العربية القبة ، وموسلين Mousseline هو اسم الحرير المنسوب للموصل ، وكلمة Drogman « هى » ترجمان العربية ، وكلمة Cup هى « كوب » العربية .. الخ .

حدث كل هذا فى فترة المد اللغوى للعربية . ولكن الذى لاشك فيه أن هذا المد قد توقف منذ عدة قرون ، فتوقفت الحياة العقلية أو كادت وأصاب اللغة ركود وخيم وصلت فيه الى حالة من الجزر والانحسار والانقطاع عن العالم لا ترضى بحال . وقد كان نتيجة التدهور الفكرى والاقتصادى والدينى والاجتماعى فى شعوب العربية فى هذه القرون أن أصبحت اللغة فى الوقت الحاضر واقعة تحت تأثير المد الخارجى لما نالته الأمم الأجنبية من تقدم ملحوظ فى هذه الميادين المختلفة : نشاطها الفكرى يزحمنا ، ونشاطها الاقتصادى يتقاذفنا ، وتقدمها السياسى يفرض نفسه علينا ، وإنتاجها فى ميادين الصناعة والحرب يعيش بيننا بأسمائه الأجنبية التى أصبحنا نستخدمها كما لو كانت عربية أصيلة : الترام والتليفون والأوتوبيس وأسماء الأقمشة وأسماء العقاقير والأدوية والبرلمان والديمقراطية وغيرها كثير كلها من أصل أجنبى ، فضلا عن المذاهب العلمية والفلسفية والفنية التى تتمثل بين طبقة المثقفين .

وهكذا تقف العربية الآن فى موقف الانحسار والجزر كما يقف أهلها سواء بسواء . ولكنه الانحسار والجزر الذى يتلوه مد .

سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

عز الدين اسماعيل
معيد بكلية الآداب بجامعة ابراهيم

مكتبتنا العربية

مد العربية وجزرها

عالج الأستاذ السيد عز الدين إسماعيل ، فى مقاله المنشور قبل هذا ، موضوعاً جديراً بعناية الباحثين ، وهو اصطراع اللغات بوجه عام ، ومد العربية وجزرها بوجه خاص ، وأثر الحروب والتقدم الفكرى والحياة الاقتصادية والاجتماعية فى امتداد اللغة أو تقلصها .

وكنا نتمنى لو أن وقفة الكاتب كانت طويلة عند أعظم حادث وقع فى تاريخ مد اللغات وجزرها ، وأعنى به دخول مصر والشام والعراق وشمال إفريقية فى أسرة العروبة ، وانصرافهن عن لغاتهن الأولى إلى لغة القرآن : فى المنزل ، والسوق ، والمجتمع ، ودواوين الحكم . بأقل مدة عرفت فى التاريخ .

إن لهذا الحادث التاريخى المفاجىء ـ الذى لا يكاد يعرف له نظير ـ أسبابا يلاحظها المشتغلون بالتاريخ ، وأخرى تستحق العناية والدرس من العلماء بتطور اللغات .

والذين كانوا يزعمون أن العربية تحولت إلى لغة وطنية فى خارج جزيرة العرب من طريق الفرض والاستدراج ، قد سقطت دعواهم بما حاوله الاستعمار فى الجزائر من سنة ١٨٣٠ إلى الآن ، ثم فى القطرين المجاورين للجزائر شرقا وغرباً ، وما استخدمه لذلك من وسائل الحضارة الحديثة وفى طليعتها الطباعة والصحافة والمدرسة والجندية وضرورات المعايش وأحدثها السينما والإذاعة ، فضلا عن الوسائل الأخرى غير المشروعة ، فباء الاستعمار بعد كل ذلك بالفشل ، واعترف بلسان حاله ولسان مقاله بأن ما تم فى إفريقية الشمالية لما تعربت قبل ثلاثة عشر قرنا لا يزال من المعجزات التى اختص بها نظام العروبة والإسلام ، وأن الأمم الأخرى من قبل العرب كاليونان والرومان ، والذين جاءوا من بعدهم كالترك ودول الاستعمار الغربى ، لا يكاد يتقلص ظل سلطانهم عن الأوطان التى حكموها مئات السنين حتى يذهب الدهر بلغاتهم وآثارها كأن لم يكونا هنالك من قبل .

نعم إن عرب الإسلام الأولين استهووا سكان الأقطار التى فتحوها ـ كمصر والشام والعراق وشمال إفريقية ـ وذلك بما كانوا عليه من فضائل النفس ومعادن الخير والاستقامة على الحق والتعامل بسنن الإنسانية الخالصة من شوائب الأنانية والبغى ، فرأى المصريون والشاميون والعراقيون والمغاربة أن هذا الذى جاء به العرب الفاتحون من أكمل رسالات

مكتبتنا العربية

الله بل هو أكملها . وكان الفاتحون يدعون إلى ما هم عليه من حق وخير بأعمالهم وسيرتهم ، لا بالمحاضرات فى الأندية ، ولا بالإغراء فى المستشفيات ، ولا بالتسلط على عقول الأحداث الفاصرين، فرأى الناس دعوة المسلمين مترجمة بتصرفاتهم ، ومعروضة على الأنظار فى معاملاتهم، فلما أراد أذكياء الناس وعقلاؤهم أن يشاركوا الفاتحين فيما حملوه إليهم من خير ، وحاولوا أن يتعرفوا إلى تفاصيله ليؤمنوا بها ، ولا يبعد أن يكونوا رغبوا فى أن تترجم لهم دعوة الإسلام وأن تنقل إليهم نصوصه وقواعده وأحكامه بلغاتهم ، اصطدموا بسياسة الإسلام فى الدعوة ، وهى قائمة على « أن تنتقل الأمم إلى الإسلام ، لا أن ينتقل الإسلام إلى الأمم » ، ومعنى ذلك أن على من أراد أن يتعرف إلى الإسلام ويتصل به ويأخذ بأحكامه أن يعرف لغته ، ويغترف من ينابيعه مباشرة ، إلى أن يكون من أهله الأصلاء ، لا أن يكون للدين أصحاب يحتكرونه ثم يكون الدخيل عليهم تبعا لهم فيه . وسياسة الإسلام هذه فى الدعوة إليه كانت السبب الأول فى « انتشار العربية » ، لأنها مفتاح الدين وبابه والطريق إليه ، وفيما بين زمن عمرو بن العاص وزمن الليث بن سعد مولى بنى فهم المولود سنة ٩٤ هـ كانت مصر قد امتلأت بالأئمة الأعلام من المصريين أنفسهم ، فكانوا الرءوس فى الشريعة على تفاوت أقدارهم فى العلم ، والذى لم يكن منهم فى الأصل عربيا صار لا يعرف لنفسه لغة غير العربية ، وصار بيانه بالعربية مضرب الأمثال فى فصاحتها وبلاغتها ، كما أن فقهه فى الشريعة مضرب الأمثال فى التأصيل والتفريع بحيث تضرب إليه أكباد الإبل من مختلف الأقطار للتتلمذ عليه والتأدب بأدبه والرواية عنه والعمل بفتاويه . والذين تحدثوا من الافرنج ومقلدتهم عن نظام الولاء فى الإسلام استشهدوا بأحقاد الشعوبيين الذين « لبسوا الإسلام على أبدانهم ولم ينفذ شىء منه إلى قلوبهم » ، فصوروا العلاقة بين عرب الأنساب وعرب الثقافة الإسلامية على غير حقيقتها ، ولو نظروا إليها من ناحية العلماء وأئمة الدين الذين أسلموا وتعربوا وحسن إسلامهم وصاروا من أعلام هذه الأمة فى دينها وأدبها وبلاغتها ، لعلموا أن الإسلام يعد مولى المرء منهم ، وأن نظام الولاء هو نظام الاتحاد بالأسرة والانضمام إلى أخوتها ونصرتها .

وإن مثل الإمام محمد بن عبد الله البخارى كان يرتاح قلبه وتفتخر نفسه بأن ينسب إلى ولاء قبيلته اليمنية من جعفى ، لأن فى ذلك عند ذكرى دخول سلفه فى هداية الإسلام على أيدى تلك القبيلة ، وأنهم هم الذين أخذوا بيده إلى هذا الخير الذى صار إليه ، وضموه اليهم فاتخذوه واحداً منهم ، ولذلك أحكام فى الفقه تفقأ عيون الشعوبيين وتميتهم من الغيظ . والعروبة

مكتبتنا العربية

فى الإسلام « أخلاق » فالذى يتكلم فى بيته بلغة العرب ويتخاق فى نفسه بأخلاقها، يفضله الإسلام وتقدمه العروبة على الجلف الجافى الذى عرى من تلك الأخلاق ولم يتجمل بها .

وهذه القواعد فى نظام المجتمع الإسلامى الرفيع هى التى « نشرت العربية على مدى انتشار الإسلام » . ولما كانت الأمم الأخرى - وأحدثها عهداً دول الاستعمار - لم يكن لها مثل هذه القواعد الإنسانية العليا فى اتصال الأمم بعضها ببعض فشلت فيما حاولته من تقليد العروبة فى انتشار لغتها يوم زحف الإسلام لنشر دعوته فى قارات الأرض المعمورة يومئذ .

وإذا تحولنا عن الأسباب التاريخية فى تأثير سياسة الإسلام على انتشار العربية ، نجد أمامنا ناحية أخرى من أسرار التاريخ فى هذا الموضوع ، وهى ناحية القرب أو البعد بين العربية واللغات التى اصطرعت معها أو ذابت فيها . فالعراق والشام من صريح البلاد السامية التى كانت تتكلم بالآرامية والسريانية وبقايا الكنعانية ، وكلها أخوات ضعيفة ساذجة للغة العربية التى تعد البنت البكر للغة السامية الأولى المنقرضة ، والعربية لعراقتها فى القدم قبل كل أخواتها الساميات اجتازت جميع أطوار التكون والنمو ، حتى بلغت ذروة الكمال وتمام النضوج والازدهار ، فكانت أهلا لأن تلهم أخواتها المتخلفة عنها فى النضوج اللغوى . وإذا اعتبرنا أن للغات السامية أمهات قديمة تفرعت عنها هذه اللغات وكانت لهجات لها ، ثم حلت هذه اللهجات محل أمهن القديمة فزالت بوجودهن ، يمكننا حينئذ أن نتصور أن الأمم السامية كانت لهن وحدة لغوية قبل ظهور اللهجات - أو اللغات - السامية ، وأن لغة الوحدة زالت بظهور هذه اللهجات التى ما زالت تفترق وتختلف حتى صارت لغات ، فحرمت الأمم السامية من وحدتها بزوال اللغة الأولى وحلول اللغات الفرعية محلها ، فلما ظهر الإسلام ، وانتشر أولا فى البلاد السامية ، فانتشرت بانتشاره اللغة العربية وهى فى إبان كمالها ، اصطدمت بلغات من جنسها غير أنهن أضعف منها وأقل جدارة بالبقاء ، فبقى الأصلح ، وزال ما هو أقل صلاحاً ، وانضمت الى ذلك رغبة شعوب البلاد المفتوحة فى أن يلتحقوا بدعوة الحق والخير التى حمل الإسلام لواءها إليهم ، ودلهم الإسلام على أن سبيل ذلك أن يتعربوا ، وأن ينهلوا بأنفسهم من ينابيع الإسلام فى لغته مباشرة بلا واسطة ، فعادت إلى البلاد السامية وحدتها باللغة العربية ، بعد أن كان آخر عهدها بهذه الوحدة يوم زالت اللغة السامية الأولى بظهور لهجاتها . وإن رجوع الوحدة إلى الشعوب السامية بعد

مكتبتنا العربية

حرمانهم منها يعد من أحداث التاريخ الكبرى ، بل هو إحدى معجزات الإسلام التى تستحق التدوين والتنويه والتخليد . والأمم السامية لم تخسر بهذا الحادث شيئا ، لأن العربية نفسها لغة سامية ، بل هى البنت البكر لأمها الأولى ، وقد تبدل الساميون بها من دراهمهم التافهة ديناراً وهاجاً متألقا عادت لهم به وحدتهم القومية واللغوية .

وننتقل من العراق والشام إلى مصر وشمال إفريقية ، فنلاحظ أن لغة قدماء المصريين وإن لم تكن صريحة فى ساميتها كصراحة الآرامية والكنعانية وأمثالها ، إلا أن المعجم العظيم الذى وضعه العلامة الأثرى المصرى أحمد كمال للغة المصرية القديمة دل على أن نحو ثلثها كان يوافق العربية المضرية فى معانيه ومبانيه ، مع تسامح قليل فى القلب والإبدال الموجود فى اللغتين . ولو أن العربية المعاصرة لقدماء المصريين من قبل مضر ، بل ومن قبل إسماعيل ، كانت معروفة لنا الآن لتبين لنا أن نسبة التوافق بين المصرية القديمة والعربية التى كانت معاصرة لها أكثر بكثير من نسبة الثلث ، بل لا يبعد أن يكون التقارب بين اللغتين فى تلك العصور أشبه بالتقارب بين لغة مصر العربية الآن ولغة معاصريها من أهل الحجاز ونجد ، وبهذا نعلل رحلة إبراهيم من وطنه العراق إلى مهاجره فى الشام وزيارته لمصر وزواجه منها بهاجر وعيشته مع زوجته وذهابه بها وبابنها إسماعيل إلى الحجاز ، ولا نسرف إذا قلنا إن لغات تلك الأقطار كانت يومئذ كلها متقاربة ، ولا يبعد أن تكون لهجات للغة واحدة ، كما أن لغات هذه الأقطار نفسها الآن لهجات للغة واحدة ، فكان إبراهيم وهاجر يتكلمان بلهجتهما فيتفاهمان فيما بينهما ، ويكلمان أهل الأقطار التى اتصلا بها فيتفاهمان معهم جميعا . وإذا كان هذا حال اللغة المصرية القديمة فنزول العربية ضيفة عليها مع الإسلام قد حببها إلى المصريين بحبهم للإسلام وأهله الأخيار الطيبين الرحماء الصالحين ، وبذلك كانت المعجزة بتسلم جيل الليث بن سعد المصرى المولود سنة ٩٤ قياد البلاغة العربية فى مصر وأزمة فصاحتها ، وارثاً ذلك عن شيوخه وشيوخهم الذين كانوا من حادث دخول الإسلام إلى مصر قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن مصر يقال عن جارتها فى الغرب : لوبياء والقيروان فالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، وفى تلك الربوع بقايا الفينيقيين والقرطاجنيين وذكريات هنى بعل ، بل إن البربر يوغلون فى شوط أبعد فيحملون إلينا مع تقاليدهم القديمة ذكريات علاقات لهم باليمن وأذواته وإفريقش وما فى الوعى التاريخى من أحلام لذيذة عن مجالاته فى تلك الربوع .

مكتبتنا العربية

وبعد فإن العربية فى صدر الإسلام دخلت بلاداً تمتُّ إليها بأواصر لغوية لا يستهان بها ، وهـذا هو السر فى أن العربية ثبتت بعد زوال سلطانها فى البلاد السامية أو المتصلة بالسامية ، ولم تثبت فى مثل إيران إلا فى محيط العلم الدينى ، ولم يبق منها فى مثل الاندلس وصقلية إلا بقايا تتألق فى لغـــة السكان ، كما تتألق بقايا العمران العربى تحت سماء تلك الاوطان .

وأحبُّ من إخوانى الجامعيين إذا اتسع بهم البحث فى مد العربية وجزرها أن يعتمدوا على جهودهم وبحوثهم وسليقتهم ، فقد رأينا مثل الأب انستاس مارى الكرملى يشكو تعصب بعض الاوربيين فى هـذه البحوث ، ويصرح لنـا بأنهم متفاهمون فيما بينهم على سياسة لهم مبنية على غمط العربية فى كثير من حقوقها . وقد ردد الاب انستاس هذه الشكوى فى كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) المطبوع قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأوجزه فى فصل مستقل من ذلك الكتاب (ص ١٥٥ — ١٦٨) . وقد أذكرنى ما كتبه الأب أنستاس الكرملى فى موضوع غمط الغرب للشرق ، محاضرات كان الأستاذ ميكائيل أنجلو جويدى من أساتذة جامعة روما ، ألقاها فى قاعة الجمعية الجغرافية فى القاهرة قبل بضع وعشرين سنة عن (علم الشرق وتاريخ العمران) ، وهى تنزع إلى معنى غمط الشرق كله ومصر القديمة بوجه خاص ، وتشعر قارئها بما وراءها من تحامل يؤيد شكوى الأب انستاس الكرملى . وكل هذا يوقظ أفا ضلنا الجامعيين ، ويحملهم على الاعتماد على أنفسهم فى دراستنا القومية واللغوية عندما يعتزمون استيفاءها ، وكل من سار على الدرب وصل .

محب الدين الخطيب

العربية فى كمالها

يقول العلامة الفرنسى أرنست رينان فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) :

إن اللغة العربية ، لغة الصحراء ، هى اللغة الوحيدة التى عرفها الناس فى دور الكمال ، ولا يعرف لها التاريخ طفولة ولا شيخوخة .

مكتبتنا العربية

لا قيمة للعلم
ما لم يلازمه الفضائل الخلقية

سأل مندوب (المصرى) فضيلة الاستاذ الأكبر عن رأيه فى التعليم وموقف الإسلام منه ، فقال فضيلته :

كانت إساءة الاستعمار باحتلاله العسكرى فى السبعين سنة الماضية ، ثم باحتلاله السياسى والاقتصادى ، أهون شراً وأدنى إلى دفع غوائله - على فداحتها - من إساءته إلى مصر على يد دنلوب فيما رسم من خطط لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهاً آلياً يعنى بالقشور والشكليات ، وينأى بالمدارس ومعاهد العلم عن أن تكون لها رسالة سامية من رسالات الله فى تهذيب النفوس ، وإعداد الجيل الصالح ، وتكوين الرجال الذين يعيشون لأمتهم ، وينهضون بها إلى المستوى الكريم الذى يستحق أهله السعادة فى أنفسهم وفى مجتمعهم والاحترام من الأمم الأخرى .

والمتاعب التى يواجهها الآن رجال الإصلاح فى تطهير الأداة الحكومية وإصلاحها ، وتقويم الإعوجاج الاقتصادى والاجتماعى . وتوجيه الأمة والوطن إلى الخير ، لا شك أنها بعض نتائج هذه الناحية الضعيفة فى نظام التعليم كما رسم دانلوب خططه ووضع أسسه ليبتعد برجال المستقبل عن مواطن الخوف من الله وحده ، وعن معايير الفضائل والأخلاق ، وأن تكون للمصرى المتعلم رسالة سامية فى الحياة يحقق بها لوطنه السعادة والقوة والحيوية والنشاط الدائب الدائم ، فطفقت هذه المصانع التعليمه تخرج الجيل بعد الجيل من المؤمنين بالمصلحة الذاتية وحدها دون المصلة العامة ، وبالرفاهية الشخصية من الحلال والحرام وأن وصل الوطن إلى الحالة التى تتحدث عنها الصحف اليوم وكان يبكى منها العقلاء دماء من قبل .

هذا التعليم فى المدارس المصرية من زمن كرومر إلى يوم الناس هذا ، تعليمٌ جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ، ولا الرحمة والرفق والتعاون على البر والتقوى فى قلب الرجل المثقف ، ولا يصل حاضر الأمة بماضيها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، كما كان يجب أن تكون فى الأمة الأصيلة التى تحمل لنفسها وللإنسانية اكرم أمانات الله وأنبلها .

ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلا عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية يعلمون أنها أسست لابناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم

مكتبتنا العربية

اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغريبة عنهم ، العارية عن أمس حاجاتهم القومية والملية ، فراراً من ناحية الضعف التى أزمنت عللها فى مدارسنا ، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر .

والآن وقد منّ الله بهذا الانقلاب الذى هيأ برحمته أسبابه ، فقد آن لمدارسنا أن تبنى على أساس أن اكتساب العلم والمعرفة غاية مطلوبة لذاتها ، لا وسيلة يتذرع بها للحصول على الشهادة ثم الحصول بالشهادة على الوظائف ، نعم إن الوظائف تحتاج إلى موظفين مثقفين من حملة الشهادات بشرط أن تكون فى قلوبهم مخافة الله فى حقوق الأمة ومصالح أبنائها .

وقد آن لها أن تبنى على أساس أن العلم إذا لم تلازمه الفضائل الخلقية والخوف من الله والحرص على مرضاته فإنه يكون حينئذ كالسلاح فى أيدى من لا يجيز القانون أن يكون فى أيديهم .

بل من هنا تولدت الحاجة العظمى اليوم إلى التطهير والإصلاح ، وإذا لم يتغير اتجاه القطار فى التعليم فستبقى هذه الحاجة إلى التطهير والإصلاح ما دمنا على ما نحن عليه .

وقد يظن البعيدون عن معرفة أثر الدين فى نفوس الجيل أن العرض السطحى للأخلاق فى كتب المطالعة وأمثالها يغنى الناشئة عن تثبيت عقيدتها بالله وتوثيق معرفتها برسالات الله فى مرحلتى التعليم الابتدائية والثانوية ، وعن تحقيق ذلك بتطبيقه عملياً حتى يتمرن التلاميذ عليه ، وتكون فضائله سجية ، لا عادة . وكل تقصير فى ذلك يجعل الانحراف الناشىء عن زيغ العقيدة أصعب صلاحا من الانحراف الناشىء عند طغيان الشهوة لأن زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب بزعم أنهـــا ليست من الحسن فى شىء ، أما المغلوب للشهوة وحدها فإنه ينصرف عن الحسنة معترفا بأنه أقبل على سيئة . لذلك كانت معالجة المغلوب للشهوة أهون من معالجة من زاغت عقيدته لتهاون المدرسة فى حياطة هذه العقيدة والقيام على أمانات الله فيها .

واذا كان سوء الأخلاق - الذى هو علة اختلال النظام ، ينشأ من زيغ العقيدة تارة ومن طغيان الشهوات تارة أخرى ، فان الإسلام دين ينير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكم أخرجت مدارسه ومجالس القوّامين على هدايته ، من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها ، ويخفضون اجنحتهم تواضعاً للمستضعفين . وإن سماحة الدين وما له من الأثر الخطير فى إعداد أمة روحها البطولة ، وزينتها التقوى ، وغايتها السيادة ، من أشد ما يبعث أولى الأمر منا على ان يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا ، والتربية على آدابه وفضائله - بالإشراف ، والمراقبة ، والتدريب ، والقدوة - فى مقدمة ما يطلب من مدرسة العهد الجديد أن تحققه لهذا الوطن .

مكتبتنا العربية

إن هذه الأمة مسلمة ، والأمة المسلمة لا ترضى إلا أن يكون أبناؤها مطمئنين بحجج الدين الحنيف ، سائرين فى ضوء حكمته الغراء ، مسترشدين بسيرة عظماء السلف ، وينشدون فيها مثلهم العليا . وإذا وجد فى الناس من لا يؤمله أن يكون ولده فى ظلام من الغى ، فأمثال هؤلاء على قلتهم طائفة استهواهم زخرف الحياة غروراً ، وما كان للحكومة الرشيدة إلا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير النشء ويكون قسط تلك الطائفة فى هذه السياسة تقويم عوجهم . وإذا أهملت بلا تربية أبنائها على الدين باض الإلحاد وأفرخ فى أدمغتهم يوم تكون فى أيديهم أزمتها ، ويا شقاء أمة يتولاها من لا يخاف الله ولا يتوخى مرضاته .

تحيـــة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ

محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر

سيُسعد للإسلام فضل جلاله شيخ سما بفعاله وخلاله
نور الهداية فى أسرة وجهه متألق كالبدر عند كماله

* * *

« شيخ الشيوخ » لقد حللت مكانة فى الشرق بين الغر من أبطاله
سيان ماضيك المجيد وحاضر كالضوء عند ضحاه أو آصاله
علّم له فى كل علم جـــولة ، حتى ليلفى من كبار رجاله
« الأزهر المعمور » يامل فيكم تحقيق ما يرجوه من آماله
إنا لنعرف فيك ديناً قيما « عوذت دينك بالنبى وآله »

٢٠١

من الأستاذ الأكبر

إلى أبنائه الطلبة ، لمناسبة افتتاح العام الدراسى الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فباسم الله تعالى ، وعلى بركته ، نستقبل عاماً دراسياً جديداً فى عهد جديد ، والعهد الجديد يطلب من كل فرد أو جماعة أن يحقق الغاية التى يناط به تحقيقها .

والغاية التى ناطها الله بكم ، وجعلها أمانة فى أعناقكم ، هى غرس الدين وتقوية اليقين فى الأمة ، وتربية الفضائل فيها ، واجتثاث الرذائل منها ، ونشر الأخوة الإسلامية والوطنية بين أفرادها ، وإحلال المحبة والتراحم محل التباغض والتشاحن ، وإحلال التعاون على البر والتقوى محل التعاون على الإثم والعدوان .

بهذه التربية الرشيدة ، تنشأ الأمة مؤمنة قوية ، شديدة الأسر ، عزيزة الجانب ، تأبى الضيم ، وتنفر من الاستعباد ، وتكون من الأمم - بحق - موضع الإجلال والكرامة ، بل موضع القدوة والزعامة .

إن غايتكم هذه هى غاية الأنبياء والمرسلين ، وقد جعلكم الله ورثتهم : تقومون بما قاموا ، وتؤدون لله والوطن ما أدوا . إنها أسمى غاية وأنبلها ، وبدونها يكون كل إصلاح - وإن اجتهد صاحبه - سطحياً ظاهرياً لا ينفذ إلى باطن الأمر ولبه ، بل يكون رقماً على الماء ، أو نقشاً فى الهواء . وقد نبه على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم إذ يقول « .. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » .

أبنائى : إن الأمر الجسيم ، لا ينال إلا بالعمل الجسيم ، والإعداد القوى .

فعليكم أيها الطلاب أن تعدوا أنفسكم لهذا الأمر الجلل ، وذلك بأن تكملوا أنفسكم بالعلم ، وتهذبوها بالخلق ، وتجعلوا غايتكم أمامكم ، لتسددكم وتقويكم وتشد من عزائمكم . وستجدون إن شاء الله من أساتذتكم آباء رحماء ، ينهلونكم من مناهل العلم والتثقيف ، ويعنون بكم فى الدرس وفى خارج الدرس ، ويرعونكم ويوجهونكم ، ويحلون ما يعرض لكم من مشكلات فى حياتكم العلمية والاجتماعية . وسيربط بينكم بإذن الله رباط وثيق من المحبة والتعاون على بلوغ هذه الغاية العظمى .

سددكم الله وقوّاكم ، وأعاننا وإياكم على هذا الإصلاح العظيم ، فى هذه النهضة العظيمة المباركة . والسلام عليكم ورحمة الله .

مكتبتنا العربية

عهدان

أما أحدهما فليل بهيم ، وأما ثانيهما فصبح منير .

أما الأول فقد تصرم وانقضى وشيعناه ساخطين غاضبين ، لم نقل فى كنف الله وفى ظله ، غداة ولىّ وراح ، وأما الثانى فقد أسفر فجره ، وانبثق نوره ، واستقبلناه راصين مستبشرين ، قائلين : حللت سهلا ، ونزلت أهلا .

كان العهد الماضى عهد الهوى والاستبداد ، والظلم والفساد ، والوساطات والشفاعات ، والرشوة والمحسوبيات ، وظلم الأقوياء للضعفاء ، وأما العهد الثانى فهو ، إن شاء الله ، عهد الطهر والعفاف ، والعدل والإنصاف ، والقدرة والكفاية ، والتعاون بين الحاكمين والمحكومين ، والفقراء والموسرين .

وكل من يحب أمته يرجو لهذا العهد أن يمكن الله له ، وأن يزداد على توالى الأيام رسوخا ، وأن يجعلها الله صحة لا نكسة فيها ، وتقدما لا رجوع فيه ولا انتكاس . وليس إدراك ذلك بالأمل والتمنى ، وإنما هو بالعمل والإنتاج ، وذلك بأن يفرض كل واحد نفسه جندا فى الصفوف الأمامية من الثورة ينظر إلى أهدافها ، ويعمل على تحقيقها ، وأن يسددها ويقدم لها خير ما يجود به فكره . إن الثورة لها أهداف فيجب أن تبين أهدافها ، ولهذه الأهداف سبل ، فيجب أن تبين سبلها ، المستقيم منها وغير المستقيم ، وأن يتولى ذلك كلّ فى اختصاصه ، وما هو منه بسبيل .

وأرجو أن أقوم بذلك إن شاء الله ، فى الدائرة التى أنا فيها ، دائرة العلم والتهذيب ، وإن كان جهد المقل ، وسير الضعيف .

وأول ما ينبغى أن أبيّنه هو التعريف بالثورة نفسها وبرجالها وبأهدافها ، لأن من الناس من جهلوا مقاصدها السامية فانقادوا للشغب متأثرين بتضليل المضلين ، وإنى أذ أكتب عن رجال الثورة ، لست أكتب عنهم لسابقة معرفة ، وإنما أكتب فيما بدا من أفعالهم ، وأستخلص نياتهم وأخلاقهم ، مما ظهر من عفتهم وزهدهم .

هذه الثورة فريدة فذة فى التاريخ ، لم تنسج على منوال سبق ولا مثال تقدم ، فقد مشت لطيتها وئيدة مطمئنة ، لم يعجلها خوف ، ولم يشملها ظفر ، ولم يحملها حقد ولا بغض على أن تجور وتظلم . نرى الثورات فى التاريخ يعجلها الخوف فتقتل وتسرف فى القتل ، ويشملها

مكتبتنا العربية

النصر فتطغى وتسرف فى الطغيان ، ويحملها الحقد الدفين على ألا تذر شيئاً أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

أما هذه الثورة ، فنى لينها ورحمتها وإتئادها واتساقها وعدلها ، ما يدعو المرء إلى ألا يطلق عليها اسم الثورة .

لم يكتف الثائرون بضبط نفوسهم ، بل أرادوه من الشعب المغيظ المحنق ، فكان ما أرادوا فشت الحياة اليومية على سجيتها : وادعة مطمئنة لا خلل فيها ولا اضطراب .

وكما أن هذه الثورة فذة فى التاريخ ، كذلك أصحابها الذين قاموا بها أفذاذ فى التاريخ ، لم يقوموا لنفع شخصى ، ولا لغرض مادى ، إنما قاموا لينقذوا أمتهم من الفوضى والفساد ، والظلم والاستبداد . وليس أدل على ذلك من أن قواد الثورة أزالوا الملك عن عرشه فى ضجة من فرح الشعب وتهليله ، وكان لهم كل ما يشاءون إن أرادوا : من المال والجاه والسلطان لا ينازعهم منازع ، فعفوا عن ذلك كله : عفّوا عن القصور والدور ، والضياع والزروع ، ونظروا إليها باحتقار وازدراء .

فهل رأى التاريخ أشرف نفسا ، وأنبل مقصدا ، وأسمى غاية وأزهد فى السلطان ، والجاه والمال والغنى من هؤلاء القواد البواسل .

ليس الزاهد من زهد فى الدنيا وهى عنه معرضة ، إنما الزاهد من زهد فيها وهى عليه مقبلة .

لقد بلغ من زهدهم أن قائدهم منح رتبة الفريق ومرتبها ، فأبى الرتبة وما يتبعها من مرتب . وكذلك فعل إخوانه حين تولوا قيادة الألوية ، ورفضوا مرتباتها . ألا إنه زهد وأمانة وعفة يقضى المرء منها العجب ، وأعجب منها أنها وجدت فى ذلك العصر المتعفن .

يروى التاريخ أن عمر بن الخطاب جاءه المجاهدون الذين فتحوا بلاد كسرى بتاجه - وكان من ذهب ومرصعا باللآلىء - فقال : إن قوما أدوا هذا لأمناء . فماذا كان يقول عمر لو رأى أبطالنا الذين أدوا التاج والعرش والضياع الواسعة والجنات الوارفة والجاه الطويل العريض .

هذه الثورة ، وهؤلاء أبطالها ، وهذه أغراضها : شجاعة وإقدام وحلم وأناة ، وعفة وزهد ، وسمو وشرف ، وترفع وإباء .

كجنود عمرو كلما ركزوا القنا عفّوا يدا ومهندا وسنانا

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

لغوياتنا ١

المعمّى واللغـــز

المعمى وصف من عميت الشيء على آخر ، إذا أخفيته عنه والبسته عليه ، فلا يهتدى له . وقد تعورف المعمى فى الخفى من القول لا يبين إلا بعد إنعام النظر وقدح الفكرة . وأصل ذلك من العمى ، كأن السامع فى عمى لمّا لم يدرك وجه الكلام ومغزاه .

واللغز - بضم فسكون ، وبضم ففتح - فى الأصل: جحر يحفره اليربوع ملتويا منحرفا ، يلجأ إليه حين يقصد فى جحره المستقيم . وقد أريد به ما أخفى معناه من الكلام وألبس ، تشبيها بلغز اليربوع .

وترى أن المعمى واللغز يئولان إلى مغزى واحـــد ، وهذا هو المعروف عند قدامى العلماء . وسأسير على هذا النهج حتى أعرض لاصطلاح المحدثين .

والتعمية للمراد والإلغاز فيه ، تكاد فى بعض المواطن تكون من طبيعة الناس . ويدعو إلى التعمية الرغبة فى إخفاء بعض الأغراض ، أو التفاطن واختبار ذكاء السامع وابتلاء زكانته . وألغاز التفاطن تعرف بالأحاجى ، واحدها أحجية ويقال لها أيضا الأداعى واحدها أدعية . ويقال فى ذلك : حاجاه ، وداعاه إذا ألقى عليه أحجية أو أدعية . وهذا الضرب يقع بين العامة كثيراً ، ويسمون الأحجية حزُورة ، وهى فعولة ، من الحزْر وهو الحدْس والخرْص والتخمين . وقد يقولون فى بدء المحاجاة : حزُورة فزُورة ، ويبدو أن الكلمة الثانية إتباع للأولى ، كقولهم : حسن بَسن .

ومن أمثلة المحاجاة عند العرب قول الشاعر فى السيوف :

أداعيك ما مستحقبات مع السرى حسان وما آثارها بحسان

مستحقبات أى محولات ، وهذا الوصف يلبس بالنساء .

ومنها قول الشاعر فى القلم .

حاجيتـــك يا خنســـا . فى جنس من الشعر
وفيما طـــوله شـــبر وقد يوفى على الشـــبر

مكتبتنا العربية

له فى رأســـه شق نطوف ماؤه يجـــرى
أبينى لم أقل هجـــرا ورب البيت والحجر

والنطوف وصف من نطف أى سال وقطر أراد سيلان الحبر ، وهو ماؤه . ولما كان هذا الوصف يوهم من الرجل ، وهو مالا يصح المحاجاة به لنساء قال لم أقل هجراً .

ومن أمثلة الحزورة عند العامة قولهم فى القميص : أبويا بنى لى بيت ما يسعشى إلا نا . وقولهم فى جنين الحيوان تجناز أمه البحر : عدى البحر وما تباش ، وقولهم فى الإبرة فيها الخيط : قد الصباع ، وديلها وراها دراع ، وقولهم فى الطماطم : قاعد فى الخط أحمر زلبط . وزلبط أى أملس لا زغب عليه . وأصل ذلك فى الرأس يحلق بالموسى ، يقال : حالق زلبط ، والخط هنا : السطر فى الزرع .

والمعمى يقع فى الكلام على أنحاء .

١ — فقد تقع التعمية بذكر أوصاف ظاهرة فى غير المراد ، أو بذكر كلمة ظاهرة فى غير المقصود . وللاستعارة والتشبيه والاشتراك اللغوى عمل كبير هنا .

وأكثر ما يقع هذا الضرب فى أبيات المعانى ، وهى التى تحوج إلى أن يسأل عن معانيها ، وقد ألف فيها كثير من العلماء . ومما طبع منها كتاب معانى الشعر لأبى عثمان الأشناندانى ، طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠هـ ، والمعانى لابن قتيبة ، وقد جاءنا أخيرا من الهند .

ومن أمثلة هذا قول الشاعر : [1]

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

أراد بالنسر الشيب ، شبهه به لبياضه ، وابن دأية : الغراب الأسود ، أراد به الشباب لأن شعر الشباب أسود .

ومن هذا قول الشاعر[2] :

ولقد رأيت مطيـــة معكوسة تمشى بكلكلها وتزجيها الصبا
ولقد رأيت الخيل أو أشباهها تثنى معطفة إذا ما تجتـــلى
ولقـــد رأيت مكفـــرا ذا نعمة جهدوه ؛ بالإعمال حتى قد ونى

(١) انظر اللسان فى لغز ود أى .
(٢) الأمالى ١/٢٦٧ .

مكتبتنا العربية

أراد بالمطية المعكوسة ، سفينة . وجعلها معكوسة إذ كان كلكلها وصدرها معطوفان إلى الوراء ، يقال : عكس الدابة إذا جذب رأسها اليه لترجع القهقرى ، وأراد بالخيل : تصاوير على صورة الخيل فى وسائد ، فهى تثنى للجلوس عليها ، وأراد بالمكفر : السيف ، والمكفر : المستور المغطى ، والسيف يكفر فى الغمد . ويرى القارىء فى الشعرين السابقين الاعتماد على الاستعارة والتشبيه فى التعمية .

ومن هذا ما جاء [1] فى التعمية عن الحسناء بما يوهم أنها نار :

ومشبوبة لا يقبس الجار ربها ولا طارق ظلماء منها يؤنس
متى ما يزرها زائر يلف دونها عقيلة دارى من العجم تفرس

أراد بالمشبوبة : الحسناء الجميلة ، وأصل هذا فى وصف النار . وأراد بربها : زوجها ، وهو لايدع الجار يقتبس من حسنها والمتاع بها كما يقتبس النار . والدارى المنسوب إلى دارين ، وهى فرضة بالبحرين فيها سوق ، يحمل إليها المسك من ناحية الهند ، وأراد به العطار الذى عنده المسك والطيب . والعقيلة : أكرم الشىء وأنفسه ، أراد به المسك ، وقوله : تفرس أى تشق فتفوح ريحها .

وقد ألغز الشاعر بالمرأة وهو يريد النار فى قوله :

وشعثاء غبراء الفروع منيفة بها توصف الحسناء أو هى أجمل
دعوت بها أبناء ليل كأنهم وقد أبصروها معطشون قد آنهلوا

أورده صاحب الأمالى فى آخر الجزء الأول ، وقال « يصف ناراً ، وجعلها شعثاء لتفرق لهبها ، وغبراء الفروع لدخانها ، والفروع : الأعالى ، ومنيفة : مرتفعة ، يريد أنها على جبل أو فى مكان عال . وقوله : « بها توصف الحسناء » أى بها تشبه الجارية . وذلك أن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعلة نار . . . وقوله : « دعوت بها أبناء ليل » يعنى النار ، دعا بضوئها أبناء ليل ، أى قوما سروا ليلا فجاروا عن القصد ، وقوله : « كأنهم وقد أبصروها معطشون » يعنى أنهم من فرحهم بهذه النار كأنهم قوم كانت عطشت إبلهم فأنهلوا أى رويت إبلهم » .

ومن الإلغاز فى النار أيضاً قوله :

وزهراء إن كفنتها فهو عيشها وإن لم أكفنها فوت معجل

---

(١) معانى الشعر للاشنانداني ٣٦

مكتبتنا العربية

أورده القالى [١] ، وقال : « يعنى النار . هى زهراء أى بيضاء تزهر ، يقول : إن قدحتها فخرجت فلم أدركها بخرقة أو غير ذلك ماتت » فهو يريد بتكفينها أن يلقاها فى خرقة أو صوفة أو قطنة ، وإذاً تعيش وتحيا ، فأما إن لم يفعل ذلك فلا يكون سبيل إلى الحصول عليها .

ومن الإلغاز فى القدر ما رواه ابن الأعرابى [٢] .

ألقت قوائمهـــا خساً وترنمت طرباً كما يترنم السكران

أراد بقوائمها : الأثافى التى تنصب عليها ، وجعلها خساً أى فرد أو وتراً غير زوج لأنها ثلاث ، وهى تترنم لغليانها ، فهى تصوت كالطرب .

ومن هذا الضرب ما يستعمل فى الرسائل التى يراد إخفاء المراد منها فى بعض المواطن ، ويقرب هذا مما يعرف فى اصطلاح العصر بالشفرة .

ومن أمثلة هذا أن [٣] رجلا من تميم كان أسيراً فى بكر بن وائل ، فسألهم رسولا إلى قومه . فقالوا له : لا نرسل إلا بحضرتنا ، وكانوا قد أزمعوا حرب قومه تميم فخشوا أن ينذرهم . فقال الأسير للرسول : أبلغ قومى التحية ، وقل لهم : ليكرموا فلانا - وهو أسير بكر عندهم - فإن قومه لى مكرمون . وقل لهم : إن العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جمل الأصهب ، بآية ما أكلت معكم حيساً ، واسألوا الحارث عن خبرى . فلما أدى الرسول الرسالة قالوا : لقد جن الأعور ! والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب . ثم سرحوا الرسول ، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة . فقال : قد أنذركم . أما قوله : « قد أدبى العرفج » فإنه يريد أن الرجال قد استلأموا . وقوله : « شكت النساء » أى اتخذت الشكاء للسفر ، وقوله : « ناقتى الحمراء » أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان ، وهو الجمل الأصهب ، وقوله : « بآية ما أكلت معكم حيساً » يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط . فامتثلوا أمره وعرفوا فحوى كلامه .

وأعود إلى شرح بعض الكلم فى القصة : فالعرفج نبات له ثمرة خشناء كالحسك ، وهو كثير القضبان والامتداد فى الأرض ، وإدباؤه أن ينضج وتمتد أعواده ، وذلك إذا أصابه

---

(١) الأمالى ٢/٨٨

(٢) الأمالى ١٤٥

(٣) الأمالى ١/٦

مكتبتنا العربية

المطر . وقد ضربه مثلا لاستلام الرجال أى لبسهم اللأمة وهى الدرع ، كأن الرجل إذ يلبس الدرع كالعرجة إذ تبدو ثمرتها التى هى كالحسك وهو الشوك ، وكثرة الرجال وانتشارهم كالعرفج إذ يمتد فى الأرض . والشكاء جمع الشكاوة ، وهى وعاء من أدم كالقربة يحبس فيه اللبن . والدهناء : أرض لبنى تميم فى نجد سهلة ، شبهها بالناقة لسهولة ركوبها ، ولمكان تأنيث لفظها . والصمان : بلد لهم أيضا أرضه صعبة الموطىء ، فشبهها بالجمل لصعوبته ، ولمكان تذكير اللفظ .

وكأنما أعجب هذا بعض الشعراء فنظمه فى قوله :

خلوا عن الناقة الحمراء وارتحلوا الـ ـعَوْد الذى فى جنابى ظهره وقع
إن الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

فالناقة الحمراء هى الدهناء ، كما سلف . والعَوْد - وهو الجمل المسن - الصمان . وجعل فى ناحيتى ظهره وقعا - وهو أثر الدبر فى ظهر البعير - لما أنه وطىء وكثرت فيه آثار الناس . فهو ينصحهم أن يتركوا الدهناء ويعتصموا بالصمان ، وهو صلب يشق على الخيل أن تطأه . والدهناء ممكنة سهلة . ووصف أن أعداءه - وكنى عنهم بالذئاب - اخضرت براثنها ، أى أن أرضهم أخصبت وكثر العشب فيها ، فالأقدام مخضرة من الكلأ . وهذا يدعوهم إلى الغزو إذ تقوى إبلهم وخيلهم . وقد كان حى بكر بن وائل من أشد الأحياء عداوة لبنى تميم حتى صارت كلمة بكر مثلا عندهم فى العدو ، فهو يقول : الناس كلهم بكر - أى عدو - إذا أخصبوا . وقد جرت لتميم أمثال فى عداوة بكر ؛ كقولهم : لا تبت من بكرى قريبا ، وقولهم : البكرى أخوك فلا تأمنه .

٢ — وقد تكون التعمية من قبل اشتراك اللفظ وإرادة غير المعنى المتبادر منه ، ومن استعمال الغريب .

ومن أمثلة ذلك قوله - وتقدم أبيات من مقطوعة هذا الشعر - :

ولقد رأيت غضيضه هركَولة رؤد الشباب غريرة عادت فتى

الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية . والرؤد : الشابة الحسنة . وقوله : عادت فتى هو من العيادة ، وهى الزيارة ، والمتبادر إلى الذهن أن تؤخذ من العود ، ومن هنا جاء الإلباس .

ومن هذا الشعر المشهور فى كتب (١) النحو ، وهو :

إنى رأيت غزالا أورث قلبى خبالا

(١) انظر مبحث كان وأخواتها .

مكتبتنا العربية

قـد صار كلبا وقرداً وصار بعـد غزالا

فقوله : صار أى ضم ، ومنه قوله تعالى : فصُرهن إليك .

ومن هذا ما يروى (١) عن الشافعى رضى الله عنه أنه سئل : هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال . لا ، ولا روايته . أريد بالخالق الـكاذب ، لأنه يخلق الـكذب ويفتريه . وسئل : فارس المعركة إذا قضى على أبى المضاء قبل أن يحمى الوطيس ، هل يستحق السهم ؟ قال : نعم إذا أدرك الوقعة ، فقوله : قضى أى مات ؛ وأبو المضاء كنية الفرس .

ومن الضرب الذى جاء عن الشافعى مايعرف بفتياً نقيه الدرب ، وهى تنبنى على الإتيان بغريب اللغة ، وتـكون لهذا غريبة فى الحـكم والإفتاء منـكرة فى ظاهرها وقد ألف فى هذا الفن ابن فارس تأليفاً لطيفاً سماه بهذا الاسم . وبنى الحريرى المقامة الثانية والثلاثين على هذا الباب . ومن أمثلة ما جاء فى هذه المقامة : ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله ؟ قال : انتقض الوضوء بفعله ، فالفعل هنا الزوجة . وقد جرى الحريرى على مذهب الشافعى فى هذا الحـكم إذ كان شافعى المذهب ومنها : قال : أيجوز للدارس حمل المصاحف ؟ قال : لا ولا حملها فى الملاحف ، الدارس هنا الحائض . (للحديث بقية)

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حـــكم

صُنْ وعدك عن الخلف فإنّ الخلف شين .

وشب وعيدك بالعفو فإن العفو زين .

وكن عبداً للحق فإن عبد الحق حر .

واظهر لأهلك أنك منهم ، ولأصحابك أنك لهم ولرعيتك أنك بهم .

---

(١) انظر المزهر فى أواخر الجزء الأول .

مكتبتنا العربية

المراجع الأولى فى تاريخنا :

تاريخ الأمم والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٢٢٤ — ٣١٠

مفارقات :

من عجيب المفارقات فى تاريخنا وتواريخ الأمم الأخرى ، وفى موقفنا من تاريخنا ومواقف الأمم الأخرى من تاريخها ، أن نكون أغناهن جميعاً فى كل ما يبنى به تاريخ الأمة من أنباء ونصوص ومراجع وقرائن وإشارات وتحقيقات ، ثم نبقى أفقرهن وأقلهن انتفاعا بهذه الثروة فى إقامة معالم تاريخنا على أساسها ، بينما الآخرون قد أحدثوا - حتى من الأوهام - مكتبات جديدة لأجيالهم وجماهير قرائهم ، حافلة بالطلى الشهى من صفحات ماضيهم ، فوثقوا أواصر خلفهم بسلفهم ، ويسروا لهم القدوة الحسنة بعظمة العظماء من نوابغهم ، وبعثوا لهم من ذلك الماضى صوراً حية ترتفع الرءوس بأمجادها ، وتمتلىء القلوب بإجلالها واحترامها ، وتطمئن العقول إلى تعليل تصرفاتهم والاعتبار بها ومواصلة السير نحو أهدافها .

مواطن ضعف :

ومواطن الضعف - التى أدت ببعض معاصرينا من حملة أمانات التاريخ العربى والإسلامى إلى أن يكون انتفاعهم بهذه « التركة » ضئيلا - لا يكاد يأتى عليها الحصر . ومما يتبادر إلى الذهن منها الآن أمران :

أولهما - أن الذين تثقفوا منا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم « غرباء » عن هذا الماضى ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين . بل لقد أوغل بعضهم فى الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة له بماضى العروبة والإسلام ، لئلا يتهم فى زعمه بالعصبية لها ، فوضع نفسه فى موضع التهمة بالتحامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين فى ارتيابهم حيث تحسن الطمأنينة ، وفى ميلهم مع الهوى

مكتبتنا العربية

عندما يدعوهم الحق إلى التثبت ، وفى إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون فى أيديهم أشباه الدلائل عليه . ولو أن إخواننا هؤلاء نشأوا على الإيمان بأنهم هم أصحاب هذه « التركة » ، وبأن هذا الماضى ماضيهم ، وأن جيلنا حلقة فى سلسلة هذا الماضى ، وأن أحداثه ثروة لنا فى القدوة والاعتبار ، لنظروا إليه بعين الأم إلى ابنها ، إن لم ينظروا إليه بعين الابن إلى أمه ، ولا يكون ذلك إلا بتبنى هذا التاريخ ، والحرمة له ، وبث الحياة فى أبجاده ، والحرص على استجلاء جماله ، وإبراز فضائله ، وتحرى مواطن العظة والاعتبار فى أخطائه ، وحسن التعليل لذلك بالرفق والإنصاف وكمال التقدير . على أنه إذا كان هذا حال أهل الصبر منا على البحث والدرس ، فما بالك بالآخرين الذين قد تقع أنظار الواحد منهم على بحث فج لمستشرق ناشىء أو منسى ، فينتحل ذلك البحث من غير تعب ، ويزعمه لقرائنا مبتكراً من عنده ، وينقله لنا بحرف الأعلام ، متضارب الأحكام ، مزدوج المعنى ، ملتهب الحماسة فى التحامل حتى على الفضائل عندما ينظر إليها - بعينه أو بعين من ترجم عنه - من وراء منظار أسود .

ذلك أحد مواطن الضعف فى دراستنا لتاريخ العروبة والإسلام ، أما الموطن الآخر فهو ما لاحظته على بعض المعاصرين لنا من اشتباه الأدلة التاريخية عليهم ، وحيرتهم بين جيدها وأجودها ، بل فيهم من لا يميز بين الجيد منها والردىء ، مع أن ذلك كان فى متناول يده لو سبق له معرفة موازين رواتنا فى النقد ، أو وقف على مناهجهم فى التأليف ومصطلحاتهم فى الرواية ، ومراميهم فى الاستشهاد .

وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ — ٣١٠) لأتحدث عنه إلى إخوانى المشتغلين بالتاريخ ، ممن يحاولون الانتفاع به فى الاستدلال والنقل ، لأنى رأيت منهم من يظن أن إيراد الطبرى لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسئولية الخبر الذى أورده ، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر ، وأن الأخبار التى يوردها سواء كلها فى ميزان الصحة عنده ، وأن عزوهم الخبر إلى الطبرى ودلالهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال ، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر ، ويبقى الطبرى هو المتحمل لمسئولية ما يترتب على ذلك فى الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم .

إن ظنهم هذا لا يغنى من الحق شيئاً ، وإن الطبرى ليس هو صاحب الأخبار التى يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون فى الأقدار ، وأخبارهم

مكتبتنا العربية

ليست سواء فى قيمها العلمية ، ولا يتم اعتبار الطبرى مرجعاً فى التاريخ إلا بإكمال المهمة التى بدأ بها ، وهى تقدير أخباره بأقدار أصحابها ، ففيها ما يعد من سلسلة الذهب ، وفيها مالا تزيد قيمته على قيمة الخزف ، ولكل ذلك نقاده وصارفته وتجاره ، وهم يعرفون أقدار هذه الأخبار عند التعريف بأقدار أهلها ، وقديماً قيل : وما آفة الأخبار إلا رواتها .

أنَّى لك هذا ؟

إن كل خبر فى تاريخ الطبرى ، بل كل نص يتناقله أهل العلم فى أجيال الإسلام ، له عند أهله قيمة رفيعة أو وضيعة ، على قدر شرفه أو خسته بالرواة الذين ينتسب إليهم ذلك الخبر أو ذلك النص . فشرف الخبر فى التراث الإسلامى تبع لصدق راويه ومنزلته من الأمانة والعدالة والتثبت . لذلك امتازت كتب سلفنا الأول بتسمية الرجل المسئول عن أى حديث نبوى يوردونه فيها ، وبيان المصدر الذى جاءوا منه بأى خبر تحدثوا به الى الناس . ولو لم يسموا الرجل المسئول عن الحديث النبوى عند أرادوه ، ولو لم يبينوا المصدر الذى حصلوا منه على أى خبر يودون ذيوعه بين الناس ، لطالبهم بذلك علماء الثقافة الإسلامية بأشد من مطالبة المحاكم من يدعى ملكية العقار أو الحقل بما يثبت ملكيته له ومن أين صار ذلك إليه؟

وإذا كان مبدأ « أنى لك هذا ؟ » عما سنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مشروعية امتلاك الأموال ، فإن أبناء الجيل الذى منه عمر بن الخطاب هم الذين سنوا للناس بعدهم وجوب بيان مصادر العلم ، كما سنوا لهم وجوب بيان مصادر المال ، والعلم أثمن عندهم من المال وأشرف ، وأنفع منه وأبقى .

نحن نعتبر تاريخ الطبرى الآن من أقدم مصادرنا ، وكان تاريخ الطبرى فى النصف الثانى من القرن الثالث (أى قبل أحد عشر قرنا) يعد من مصادر التاريخ الإسلامى الحديثة بالنسبة إلى المصنفات التى دونت قبله بثلاثة بطون ، بل بأربعة . ولعل أقدمها مغازى مؤرخ المدينة موسى بن عقبة الأسدى المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وهو الذى يقول فيه الإمام مالك « عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة ، وهى أصح المغازى » وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص الليثى . ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمى الكوفى المتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ ، وله فى سنن الترمذى حديث واحد ، والطبرى يروى عنه بواسطتين ، أى عن شيوخه وهم عن شيوخهم الذين كانوا تلاميذ لسيف . ومن طبقة تلاميذ موسى بن عقبة مؤرخ الشام أبو إسحاق الفزارى الحافظ المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، وهو حفيد أسماء بن خارجة

مكتبتنا العربية

الفزارى وكان له كتاب فى التاريخ أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فى « مقدمة أصول التفسير [1] » بعد أن قال : « إن أعلم الناس بالمغازى أهل المدينة ، ثم أهل الشام ، ثم أهل العراق ، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ماليس لغيرهم . ولهذا أعظم الناس كتاب أبى إسحاق الفزارى الذى صنفه فى ذلك . وجعلوا الأوزاعى أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار » . ويأتى بعد تلاميذ موسى بن عقبة طبقة يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموى المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، ومن مؤرخى الشام الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقى مولى الأمويين المتوفى سنة ١٩٥ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المدنى قاضى العراق المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم كاتبه المؤرخ الحافظ الثقة محمد بن سعد بن منيع البصرى (١٦٨ — ٢٣٠) . ومن هذا الجو العلمى استمد أبو جعفر الطبرى هديته الكبرى إلى الأمم الإسلامية بما سجله وخلده من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمن التابعين والصحابة ، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أثر عن الأئمة الذين سمينا بعضهم إلا وقد دون طرفا منه ، ناسباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم .

الأخبار الضعيفة عند الطبرى :

لم يقتصر الطبرى على المصادر التى أشرت إلى بعضها ، بل أراد أن يقف قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيها من نقص . كما صنع بنقله كثيراً من أخبار أبى مخنف لوط بن يحيى الأزدى الذى قال فيه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال : « اخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره » وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال مرة : ليس بشىء . وقال ابن عدى : شيعى محترق ، صاحب أخبارهم . مات قبل السبعين ومائة » . فقد نقل الطبرى من أخباره فى مئات المواضع ، ولو أن الذين ينقلون عن الطبرى ويقفون عنده ، استقوا أخبارهم من لوط بن يحيى هذا واكتفوا بعزوها الى الطبرى لظلموا الطبرى بذلك ، وهو لا ذنب له بعد أن بين لقارئه مصادر أخباره ، وعليهم أن يعرفوا نزعات أصحاب هذه المصادر ويزنوها بالموازين العادلة اللائقة بهم وبها .

---

(١) ص ٢٢ طبع السلفية .

مكتبتنا العربية

إن مثل الطبرى ومن فى طبقته من العلماء الثقات المتثبتين - فى إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا فى قضية فانهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره . وهكذا الطبرى وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون فى خبر مهما علموا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحى. إلا أنهم يردون كل خبر معزواً إلى راويه ليعرف القارىء قوة الخبر من كون رواته ثقات أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ، ووضعوا بين أيدى القراء كل ما وصلت إليه أيديهم . قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة الطبرانى من لسان الميزان : « إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون فى روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهدته ، وأسندوا أمره إلى النظر فى إسناده » .

ومن فوائد إيراد الحادث الواحد بأخبار من طرق شتى وإن كانت ضعيفة قول شيخ الإسلام ابن تيمية فى مقدمة تفسير القرآن (ص ٣٠ — ٣١) : إن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق فى العادة يوجب العلم بمضمون المنقول (أى بالقدر المشترك فى أصل الخبر) لكن هذا ينتفع به كثيراً فى علم أحوال الناقلين (أى نزعاتهم والجهة التى يحتمل أن يتعصب لها بعضهم) ، وفى مثل هذا ينتفع برواية المجهول ، والسيء الحفظ ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك ، ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ويقولون : إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد : « قد أكتب حديث الرجل لأعتبره » .

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة — من أمثال أبى جعفر الطبرى — لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم ، دليل على حريتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم فى تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما فى الباب ، واثقين من أن القارىء الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبى مخنف موضع تهمة — هو ورواته — فيما يتصل بكل ما هم متعصبون له ، لأن التعصب يبعد صاحبه عن الحق . أما سعة الصدر فى إيراد أخبار المخالفين فهى دليل على عكس ذلك . وعلى القارىء الحصيف أن يأخذ ماصفا ويدع ما كدر . وأن يستخلص الحق عند ما يكون موزعا أو معقداً .

مكتبتنا العربية

الانتفاع بأخبار الطبرى :

إنما ينتفع بأخبار الطبرى من يرجع إلى تراجم رواته فى كتب الجرح والتعديل . فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد فى الأكثر فى مثل تذكرة الحفاظ للذهبى . وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد فى خلاصة تذهيب الكمال للصفى الخزرجى وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر . والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر فى لسان الميزان . وفى طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبى والبداية والنهاية لابن كثير . وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوى ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا نعرف أمة عنى مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها كما عنى بذلك علماء المسلمين . وإن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامى ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ، ولا يتعرفون إلى رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا فى ذيل الخبر إلى أن الطبرى رواه فى صفحة كذا من جزئه الفلانى ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامى من ألوف الأخبار . ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح الحديث ، وأنسوا بكتب الجرح والتعديل ، واهتموا برواة كل خبر كاهتمامهم بذلك الخبر لاستطاعوا أن يعيشوا فى جو التاريخ الإسلامى ، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وبعد فان تركة سلف هذه الأمة - فى كل ضرب من ضروب المعرفة - من أنفس ما ورثت عن أسلافها . وقد كانت لعلمائنا الأقدمين مشاركة فى علوم كثيرة ، فجاءت مؤلفاتهم مرتبطاً بعضها ببعض ومكملا بعضها لبعض . والذى ألفوه فى التاريخ واعتمدوا فيه على الرواية ، مبالغة منهم فى أداء الأمانة كاملة وافية ، لا يجوز لمن ينقله عنهم أن يقصر فى عرض تلك الأخبار على قواعد علم الرواية وعلى المعاجم المؤلفة فى تراجم الرواة ، وإن لم يفعل أخطأ الطريق ، وكان عمله خارجا عن مناهج العلماء .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نحو مجتمع جديد :

مهاجرون وأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم : قال الله تعالى فى كتابه الحكيم فى قصة الهجرة ونصره لرسوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا . ثانى اثنين ، إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ؛ فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » ، وقال فى شأن المهاجرين والأنصار : «واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

كانت هجرة الرسول صلوات الله عليه من مكة إلى المدينة ، إيذانا ببدء عصر جديد فى تاريخ العالم ، وعاملا قويا فى رقى الإنسانية ونهضتها ، وحدا فاصلا بين الوحشية والمدنية ، والعبودية والحرية ، والجهل والمعرفة ، والظلام والنور .

فنى المدينة بعد الهجرة بقليل ، بدأ الرسول يبشر بحقوق الإنسان ؛ ويرفع من كرامته فى الحياة ، ويعمل على تحرير الطبقات والأجناس من الرق والاضطهاد والاستعباد والاستغلال ، ويفتح الأبواب أمام المتنافسين من ذوى الكفاية من كل أمة ولون ، ويشرع أصول الحكم العادل ، ويضع مناهج التقدم الروحى والاجتماعى ، ويعلن أن للمحكومين ما للحاكمين ، وأن الدولة إنما وجدت لخدمة الفرد . . . ووجد الرسول نفسه أمام ثلاث طوائف فى المدينة :

أولاها ـ طائفة المهاجرين الفقراء ، الذين ضحوا بوطنهم ومالهم وتجارتهم ، طلبا للحرية ، وفرارا من الطغيان ، فهاجروا من مكة إلى المدينة ، فرادى وجماعات ، بعد هجرة محمد صلوات الله عليه ، وكان أغلبهم يعمل بمكة فى التجارة يكسب منها الأموال الطائلة ، ويصفهم الله تعالى فى القرآن بقوله : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » ويصف الطبقة التى تلتهم فى الهجرة بقوله : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رءوف رحيم » .

مكتبتنا العربية

والطائفة الثانية ـ هم الأنصار الذين أحبوا الرسول ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه : من الأوس والخزرج سكان المدينة ، وكانت مهنة أكثرهم الزراعة وتعهد الثمار والأشجار والفاكهة ، وكانوا ذوى عدد وثروة ، ووصفهم الله تعالى بقوله . « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

والطائفة الثالثة ـ يهود المدينة ، الذين طالما أشعلوا نار الخصومة والحرب بين الأوس والخزرج ، وسخروا برسالة محمد وبأصحابه .

مجتمع كهذا المجتمع ، فيه الفقراء والأغنياء ، والمفسدون والمتآمرون ، لابد فيه من بناء جديد ، وحركة بعث وتجديد ؛ فماذا فعل محمد صلوات الله عليه ؟ بدأ الرسول يعالج هذه المشكلات بإلهام سديد ، وعقل حصيف ، وسياسة حكيمة :

طمأن اليهود على حرياتهم الدينية والشخصية ، وتعهد بحمايتهم والدفاع عنهم ، فى وثيقة سياسية بارعة ، وادّعَ فيها اليهود وعاهدهم وحذرهم ، ليضمن سلامة الدولة وأمنها .

والتفت إلى علاج مشكلة التفاوت الشديد فى الثروة ، بين الأغنياء والفقراء ، بين الأنصار والمهاجرين ، فآخى بينهما إخاء فريداً فى تاريخ الإنسانية ، إخاء مودة وتعاون وإخلاص ، فكان يأخذ بيدى المهاجرى والأنصارى ويقول : « تآخيا فى الله أخوين » . قال ابن هشام : آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فقال : تآخوا فى الله أخوين أخوين ، فكان الرسول وعلى بن أبى طالب أخوين ، وأبو بكر وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين ، وحمزة أسد الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وسوى هؤلاء وهؤلاء .

كان الرجل من المهاجرين يرتبط برباط الأخوة بآخر من الأنصار ، وصار لكل أنصارى أخ من المهاجرين ، يشاطره داره وماله وإبله وتجارته ، لهذا نصف ولهذا نصف ، وكان إذا توفى أحدهما ورثه أخوه ـ فى العقيدة لا فى النسب ـ إلى أن نزلت آية الميراث ، فجعل الإرث بين ذوى الأرحام والقرابة .

مكتبتنا العربية

وهكذا تنازل الأنصار الأغنياء ، بوازع من دينهم وضميرهم وحبهم وطنهم ، لإخوانهم المهاجرين الفقراء عن نصف ما يملكون من ثروة وعقار وأرض ، دون تردد أو إبطاء .

وجدّت مشكلة أخرى ، فقد كان الأنصار أصحاب زراعة ، بينما المهاجرون أهل تجارة لا عهد لهم بسواها من الحرف ، فماذا يفعلون بالأرض التى أصابتهم ؟

هنا تجلت عظمة إيمان الأنصار ، وجلال أخلاقهم ، وإيثارهم على أنفسهم ؛ فقد أصروا على أن يزرعوا أرضهم وأرض المهاجرين بأنفسهم ، ويقسموا محصولها مناصفة فيما بينهم ، ويكفوهم العمل والمؤونة . تعاونا منهم فى بناء الأمة والمجتمع .

ومع ذلك فقد عمل كثير من المهاجرين فى الزراعة ، كأبى بكر وعمر وعلىّ وسواهم . وعمل آخرون فى التجارة ونجحوا فيها نجاحا عجيبا ، كعبد الرحمن بن عوف الذى عرض أخوه الأنصارى سعد بن الربيع أن يشاطره ماله فأبى ، وطلب إليه أن يدله على السوق فتاجر وربح ، ولما توفى وترك ثروة واسعة قال أناس من أصحاب رسول الله : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، ولم تخافون عليه ؟ كسب طيبا ، وأنفق طيبا ، وترك طيبا .

ولم يكن هذا هو العلاج الوحيد الذى عالج به الرسول الكريم مشكلة الفقر فى المدينة ، بل خص المهاجرين ببعض الغنائم ، كأموال بنى النضير ، فلم يعط الأنصار منها شيئا ، إلا ثلاثة نفر محتاجين ، وقال لهم : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة ، فقال الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . . . وهكذا كانت يد الأنصار جليلة على المهاجرين ، حتى قالوا فيهم : ما رأينا مثل أنصار المدينة ، لقد أحسنوا مواساتنا ، وبذلوا الكثير ، وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

وحض الرسول على المحبة والتعاون والرحمة ، وعلى البذل والسخاء والإيثار والصدقة والإحسان ، وإطعام الجائع ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وشرع فريضة الزكاة ، وجعل بيت المال فى خدمة الفقراء . وكان الرسول يضرب فى ذلك أروع الأمثال ، ويؤثر على نفسه .

مكتبتنا العربية

قالت عائشة : ماشبع رسول الله ثلاثه أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا .

وذهب الرسول يعود ابنته فاطمة فى بيت زوجها على بن أبى طالب ، فقال : السلام عليك يابنتاه ، كيف أصبحت ؟ قالت أصبحت والله وجعة ، وزادنى وجعا أنى لست أقدر على طعام آكله ، حتى أجهدنى الجوع ، فبكى رسول الله ، وقال : لا تجزعى يابنتاه ، فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث ، وإنى لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربى لأطعمنى ، ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ، أبشرى ، فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة .

وحمل إليه صلوات الله عليه فى يوم تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها وعاد لا يمسك منها درهما .

وكان المسلمون من الأنصار والمهاجرين يضربون المثل رائعا كريما فى فضيلة الإيثار ، نزل برسول الله ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار ، فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته أن تطفىء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام ، كأنه يأكل ولا يأكل ، حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال رسول الله : « لقد عجب الله من صنعكم الليلة إلى ضيفكم » .

وأهديت لعبادة بن الصامت هدية ، وإن معه فى الدار اثنى عشر من أهل بيته ، فقال عبادة : اذهبوا بها إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا ، قال الوليد بن عبادة فأخذتها فمكثت كلما جئت أهل بيت يقولون : اذهبوا بها إلى آل فلان ، فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية ثانية إلى عبادة .

وحرم رسول الله الاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل . ودعا الأغنياء إلى التنازل لاخوانهم الفقراء عن بعض يملكون من أرض هبة ومنحة ، فقال : من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها إياه ، وقال : من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه ، وقال : لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما . ودعا إلى الرحمة والبر والخير والتعاون والمساواة .

هذا هو الرسول الكريم ، وهؤلاء هم المسلمون حقا ، من الأنصار والمهاجرين ، من بناة مجدنا الخالد ، والدعاة إلى خير الدنيا والآخرة ، وممن لم يفتنهم المال ، ولم تلههم

مكتبتنا العربية

الإسلام وساهمته فى بناء السلام العالمى

لم ترسل الرسل وتنزل عليهم الملائكة بالوحى والكتب من عند الله إلا لإصلاح حال البشر ، وتزكية نفوسهم ، وإقامة العدل والمساواة بينهم ، ودفع طغيان بعضهم عن بعض ، وتأسيس بناء المجتمع فى الأرض على دعائم صالحة للحياة والعمران حتى تنصرف قوى البشر لمنفعة البشر « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » (سورة الأعراف آية ٩٦)

وكان من عجيب سر الأديان جميعا ، وترادف الرسل إلى أهل الأرض ، أن كان أول ما يهدفون إليه ويدعون له ، إنما هو عقيدة التوحيد وإزالة كل معبود على وجه الأرض

زهرة الحياة الدنيا ، وكانوا مع الله فكان الله معهم ، ومن أدوا الحقوق ، وجعلوا أنفسهم فى خدمة إخوانهم فى الله والوطن .

وما أحوجنا اليوم إلى أن نسير على ضوئهم ، ونستهدى بهدى رسولنا الأعظم ، ونساعد الدولة فى خدمة الشعب وبناء الأمة وضمان الحياة الكريمة للفقراء ، وأن يؤثر أغنياؤنا على أنفسهم ، ولا يبخلون بما لهم فى سبيل الله والمعروف .

وإنى لا أجد فى ختام هذه الكلمة أبلغ من قول الإمام أبى حامد الغزالى : فى « الإحياء » :

« إن على الإنسان فى ماله أن يعرف مقصود المال ، وأنه لماذا خلق ؟ وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ؟ فلا يحفظ إلا قدر الحاجة ، وألا يعطيه من همته فوق ما يستحق . وعليه أن يراعى جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض ، وما الغالب عليه الحرام ، كمال السلطان ؛ ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة . وأن لا يستكثر من المال ولا يستقل منه ، بل القدر الواجب ، ومعياره الحاجة ، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم » .

عبد المنعم خفاجة
المدرس فى كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الإسلام وساهمته فى بناء السلام العالمى

لم ترسل الرسل وتنزل عليهم الملائكة بالوحى والكتب من عند الله إلا لإصلاح حال البشر ، وتزكية نفوسهم ، وإقامة العدل والمساواة بينهم ، ودفع طغيان بعضهم عن بعض ، وتأسيس بناء المجتمع فى الأرض على دعائم صالحة للحياة والعمران حتى تنصرف قوى البشر لمنفعة البشر « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » (سورة الأعراف آية ٩٦)

وكان من عجيب سر الأديان جميعا ، وترادف الرسل إلى أهل الأرض ، أن كان أول ما يهدفون إليه ويدعون له ، إنما هو عقيدة التوحيد وإزالة كل معبود على وجه الأرض

زهرة الحياة الدنيا ، وكانوا مع الله فكان الله معهم ، ومن أدوا الحقوق ، وجعلوا أنفسهم فى خدمة إخوانهم فى الله والوطن .

وما أحوجنا اليوم إلى أن نسير على ضوئهم ، ونستهدى بهدى رسولنا الأعظم ، ونساعد الدولة فى خدمة الشعب وبناء الأمة وضمان الحياة الكريمة للفقراء ، وأن يؤثر أغنياؤنا على أنفسهم ، ولا يبخلون بما لهم فى سبيل الله والمعروف .

وإنى لا أجد فى ختام هذه الكلمة أبلغ من قول الإمام أبى حامد الغزالى : فى « الإحياء » :

« إن على الإنسان فى ماله أن يعرف مقصود المال ، وأنه لماذا خلق ؟ وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ؟ فلا يحفظ إلا قدر الحاجة ، وألا يعطيه من همته فوق ما يستحق . وعليه أن يراعى جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض ، وما الغالب عليه الحرام ، كمال السلطان ؛ ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة . وأن لا يستكثر من المال ولا يستقل منه ، بل القدر الواجب ، ومعياره الحاجة ، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم » .

عبد المنعم خفاجة
المدرس فى كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

من دون الله ، ولم يكن ذلك لأن عقيدة التوحيد هي حق فى نفسها فحسب ، وإنما كان إلى ذلك أنها حينما تتضمن إفراد الله بالعظمة ، تتضمن المساواة بين أفراد من عداه ، إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، وفيه تمام المساواة بين أبناء البشر وأفراد المجتمع الواحد . وهذه هي الحرية والمساواة التى تصرخ بها الحضاره والمدنية الحديثة على أنها ثمرة الثورة الفرنسية ، بينما هى أولى عقائد الأديان منذ نزلت الأديان ، إذ هى صنو عقيدة التوحيد ، ومقتضاها أن السيد الفرد هو الله سبحانه ، والجميع بعد سواء فى الحقوق والواجبات ، حتى كان النبي يقول لقومه ، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، (سورة هود آية ٨٨) فأول مبادىء الإسلام وعقائده هو تأسيس المجتمع على المساواة والعدل بين الناس ، لأنهم سواسية لا فضل لاحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وهذا هو مبدأ إخراج الناس من الظلمات إلى النور الذى جاءت به الأنبياء فأخرجوا الناس من ظلمات جهلهم بالله سبحانه إلى نور المعرفة به ، ومن ظلمات جهلهم بحقوقهم الشخصية أمام كبرائهم وملوكهم إلى نور العلم بأنهم وإياهم سواسية كأسنان المشط ، لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

وبذلك يتم بناء صرح المجتمع على أسس من العدالة لا تنهار . وقطعت الرسل مرحلتها الأولى فى رسالها فى ترويض العقل البشرى على فهم هذه الحقيقة فى عقيدة التوحيد ومبدأ المساواة .

وكان كثير من السادات فى أممهم يقبلون عقيدة التوحيد ولا يقبلون المساواة بينهم وبين الضعفاء من أممهم ، فيأبى عليهم الأنبياء ذلك ولا يقبلون منهم إلا العقيدة كاملة ، قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ، . . الآيات . وكذلك فعلوا مع الرسول ﷺ وطلبوا أن ينحى من مجلسه الضعفاء ليجلسوا معه ويستمعوا إليه ، فأبى . ونزل قرآن كريم على النبي صلوات الله عليه فى إشاحة خفيفة عن أعمى جاءه وكان مشغولا بوفد من السادات « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . . . الآيات .

هذا هو مبدأ الدين من عقيدة إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية ، وخرط جميع من سواه فى سلك العبودية له على السواء ، فتتحد كلمة الأمة ويخف بينها الخلاف أو ينعدم .

وكلما كانت الأمة أو الأمم متحدة فى العقيدة الصحيحة السليمة كان ذلك أدعى إلى السلم

مكتبتنا العربية

فيما بينها ، وأدفع للقوى أن تتجه إلى الإنتاج الاقتصادى النافع متعاونة بروح واحدة هى روح الأخوة ، وفى ذلك عماد الحياة وصلاح الأرض وسلامة الأمر وتواد النفوس ، فلم يكن إجماع الرسل وتضافر الأديان فى كل زمن على عقيدة التوحيد إلا لمصلحة البشر أنفسهم ، واجتثاث نزعة الطغيان منهم بعضهم على بعض بسبب تفاوت البشر فى القوى والقدر ، فيظن القوى أنه خير من الضعيف ، فجاءت الأديان كلها بعقيدة التوحيد والمساواة توحيداً لله بالربوبية والمساواة بين أفراد من عداه .

وهذه الحروب الطاحنة التى تنشب فى هذا العصر ، بين كل وقت وآخر ، بين بنى الجنس الواحد من أبناء البشر ، مما لا يوجد له نظير فى أبناء جنس آخر من الكائنات الحية التى على وجه الأرض ، والتى لم توهب نعمة العقل ، هذه الحروب التى تستنفد قوى البشر وإنتاجهم فى تدمير بعضهم بعضا بسبب اختلافهم فى مبادىء وآراء ، فراحوا يستخدمون العلم فى سفك الدماء والنكال ، ويبتكرون أسرع المهلكات وأغزرها فى الفناء لأهل الأرض .

أى فساد فى الدنيا أشد من ذلك ؟ قوم يتواطئون على إهلاك أنفسهم وغيرهم بأيديهم . فهل هذا الجنون العالمى والانتحار الإنسانى والسير فى سبيل تدمير الحضارة والبشرية خير للإنسانية ، أم الاستغاثة بالسماء لصلاح الأرض ودرء الحرب عنها والانتفاع بالبقية الباقية من الروح الدينية لجمع كلمة البشر على وحدانية الله سبحانه ، والتعاون على محبته وشرعه ، ليكون هؤلاء المتعاونون كتلة واحدة على هدف واحد ، فلا يتحاربون ولا يستنفدون قواهم فيما يعود عليهم إلا بالخير والعافية وبقاء السلام « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

حرية العقيدة والحرية الشخصية :

تعترض تلك الكلمة سبيل الباحثين هنا وتصطك بآذانهم حيثما يتفاهمون ، وهى وإن كانت كلمة حق فى بعض وجوهها فقد أريد بها باطل استغله الشيطان وألقاه فى نفوس الكثير من العقلاء ، إبقاء على حبه دوام الخلاف واتساعه بين البشر ، ذلك الخلاف الذى يبتدىء بحجة هذه الكلمة بين كل اثنين من أسرتين أو بلدين إلى ما اتسع له الآن من انقسام الدنيا إلى معسكرين - رأسماليين وشيوعيين - لا يلبث الشر أن تندلع منه شرارة بينهما ، فتطيح بالدنيا بأسرها بسبب مبادىء وآراء ما أنزل الله بها من سلطان .

مكتبتنا العربية

وهذا الذى نخشاه إنما هو عقاب سماوى ، وإنذار لأهل الأرض الذين أباحوا الكفر الصراح والفسوق والعصيان ، وانتهاك حرمة الآداب وانحلال الأخلاق وفساد الذمم ، كل ذلك بسبب استخدام هذه الكلمة « الحرية الشخصية » فى إطلاق الأهواء والميول ونشر الإباحية الفاجرة .

ولو أن عشر معشار ما ينفق على التسلح والسياسة الآن ، كان ينفق على حرمة الآداب واحترام الدين ودعوة الإنسانية إلى الخير والصلاح وإيمان الأرض بالسماء ، مابلغ الخلاف ما بلغه الآن ، ولما كشر الشر عن نابه لأهل الأرض يريد أن يفترسهم بين عشية وضحاها .

فأين رجال الدين ، وأين انتفاع الحكومات بهم الآن ؟

إن الدين هو موضع الغوث الذى تنتظره البشرية الآن لإغاثتها مما سيجرفها من حرب طاحنة واقفة على الأبواب ستدمر المدنية وتأتى على الأخضر واليابس .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

أمر النبى ﷺ أن يوجه هذا النداء الكريم ، وهذه الكلمة العادلة على ملأ الأشهاد والرأى العام ، إلى المخالفين المعاندين ، قبل أن يزداد الخلاف وتنشب الحرب .

فهذا النداء الإسلامى والسياسة العليا النازلة من السماء لتوجه من الجبهة الإسلامية إلى جبهة المخالفين ، تؤذن بأن تحتذى ويوجه مثلها مثلا إلى تلك الكتلة الشرقية التى تريد أن تجتاح الأديان والإسلام كما اجتاحته فى مسلمى الشرق ، فتقول : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا » - الرأسماليون - المال والأرض احتكارا لهم من دون الناس ، ولا يتخذ بعضنا الحكم قسرا على عباد الله بتحريم الملكية الفردية التى أباحها الله فى كل الأديان ، إلى آخر ما نغزو به مبادئهم الهدامة ونمهد لهم من مبادىء إسلامية كريمة تشبع نهمهم الإصلاحى من غير هدم ولا طغيان لمن يريد الإصلاح .

وإذا سمعوا أن الرأسمالية والاحتكار والإقطاعيات والكسب غير المشروع أعداءهم الأولى قد أصبحت تحارب بلا هوادة فى مصر الإسلامية لأنها موارد يحرمها الإسلام كان ذلك أدعى للإصغاء إلى مصر ونهضتها الحديثة ، وخطتها الوسط العادلة الحكيمة .

مكتبتنا العربية

والإسلام فى مبادئه وسماحته بين مبادئ الشرق والغرب كلبن سائغ حلو للشاربين يخرج من بين فرث ودم .

وقد راح كل من الطرفين يعبئ قوى الشر والحرب ضد الآخر وهاهو العالم ينتظر البوق ، فهذه الروح الإسلامية فى سياسة السلم وهذا النداء السماوى الذى وجهه القرآن ونزل به جبريل من السماء إلى خصوم الإسلام أشد ما كانت الخصومة ، هى سياسة تحتذى ويقتبس منها النور .

فلماذا لا ينتفع المسلمون فى مواقفهم بقرآنهم الكريم الداعى للسلم ، ويتخذون منه نبراسا ويتفهمون مراميه وأهدافه ليستوحوا منها ما ينفعهم فى ذلك وليرفعوا به الصوت عاليا فى السياسة العالمية ويعلنوا همة الإسلام العالية فى خدمة البشرية ولا سيما فى درء الشيوعية وكفرها الصراح .

ليس إكرام القرآن الكريم بين أهله هو تلاوته فحسب والتغنى به فى المآتم والحفلات ، وإنما إكرامه العمل به ، والتضامن على تدبره وفهمه ، وإشعار الأمم والشعوب والطبقات العالية المثقفة بأن القرآن فيه فصل القضاء فيما اختلف فيه الناس فى كل زمان ومكان .

وهذه مهمة شاقة يجب أن ينهض بها الأزهر الشريف فى عهده الجديد وعهد هذه الحكومة الناهضة وعهد هذا الظرف العالمى الحاضر الموجب لذلك . ومن اتخذ القرآن مهجورا هيهات أن يكون بين الناس منصورا . فيجب على أهل القرآن الآن المؤمنين به وبرسالته العالمية أن يواجهوا الناس بما فيه من مقاطع الحكم ومفاصل الخلاف ، وأن يقنعوا العالم بذلك ، ساستهم وشعوبهم ، وطرق الإقناع واسعة ، والسبيل نهج والدين واضح والدولة للبيان ، وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » .

وهذه فرصة للإسلام لن تعوض يجب أن ينتهزها الأزهر الشريف فى عهده الجديد وعهد حكومة مصر الناهضة ، فقد ذهب العصر الذى كان إذا تكلم فيه المسلمون قالوا : متعصبون ، وجاء العصر الذى سيستغيث بنا فيه الساسة العالميون لدرء الشيوعية الكافرة . وما أدرانا لعل الإسلام حينما يجاجل صوته بين الكتلتين تهفو له قلوب وتؤمن به شعوب وتنطفئ به حروب ، وتقع عليه العين وتصلح به ذات البين ، وتحقن به دماء وترضى به عن الأرض السماء .

عبد السلام القبانى
أستاذ بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

الحدود فى نظر الإسلام

هذا أسلوب من أساليب التربية الدينية يريد الشارع الحكيم أن يستقيم حال الناس به ، ويصلح سلوكهم عليه ، وتسود فيهم الأمانة ، وتعلو بينهم راية الشرف ، لأنه سبحانه بعد خلقه إياهم فى أحسن تقويم ، وتسخيره لهم الكون كله يستقلون أرضه ، ويستظلون بسمائه ، ويتمتعون بخيراته التى يحتويها ، لم يبق لهم عذر فى عـــدم تذليله لإسعادهم ، واستخدامه لرفاهتهم . وشذوذهم عن هذه الطبيعة ، وخروجهم عن مألوف تلك العادة ، وتمردهم على ما تقضى به السنن من الهدوء والسلام ، والأمن والاستقرار ، وميلهم إلى الإفساد والشر ، والإضرار والكيد ، والإيلام والتنغيص ، وتحويل البيئة التى يعيشون فيها إلى مباءة للآثام والفجور ، كفران بنعمة الله التى أنعم بها عليهم ، ونكران لجميله الذى أسداه إليهم ، يستأهلون من أجله الغضب والسخط والعقاب والوعيد ، والزجر والتأنيب . . . ولذلك جعل — جل وعلا — الحدود بمثابة الردع للمفسدين ، والتهذيب للمذنبين ، والتخويف للملتوين ، عسى أن يكون هذا باعثا على إقرار الأمور ، وصلاح الأحوال ، والاستقامة على الجادة ، ليتوفر للناس العيش السعيد ، والحياة الرتيبة الهادئة .

والناظر إلى الحدود الإسلامية — فى بادىء الأمر — ربما ظن أنها قاسية على ابن آدم الذى خصه ربه بالكرامة ، وميزه بالعقل ، وفضله على سائر المخلوقات . ولكن الذى يدقق التأمل ، ويمعن التفكير ، يعتقد أن المرء الذى يصل به تحلله فى خلقه ، وانحداره فى سلوكه ، وتهاونه فى شرفه ، واستهتاره بغيره ، إلى هذا القدر من استباحته للأعراض ، وتغاضيه عن الحقوق ، وتنصيبه من نفسه — هكذا — معول هدم لإفساد الجماعة البشرية ، يجدر به أن يزول من على الأرض ، لا أن يبقى كما تبقى الجراثيم الفتاكة يتطاير شررها ، ويستفحل ضررها ، ويعم وباؤها ، ويتزايد على تطاول الليالى فتكها الذريع . على أن الباحث فيها من ناحية أخرى يرى أنها ترفقت بالمجرم وعلقت عليه بعض الآمال حين أبقت على حياته من الموت ، وصانته من الهلاك ، لأنها ترجو منه الاستقامة على الصراط السوى ، والمهيع

مكتبتنا العربية

الصحيح ، ليصبح نافعا لنفسه وللناس ، ويكون الذى صادفه موقظا لأحاسيس الخير فيه ، ثم لا يكون فى عمله بعد ذلك ما يشين الحياة ، ويزرى بالإنسانية .

وإذا قيس هذا الصنيع بما تفعله بعض الدول الآن — على ضوء الفلسفة الحديثة — من حرمان أمثال هؤلاء من التناسل والاختلاط ، ومباشرة الحقوق الدستورية ، والميزات الاجتماعية ، لا يصح لنا إلا أن نقول إن الإسلام كان متسامحا إلى أقصى حدود التسامح .. على أنه فى بعض حالات العقوبة لا تأخذه هوادة ولا رحمة ، ولا تعطفه عليهم شفقة ولا رأفة ، فيكون حكمه بالموت ، وذلك فى زنا المحصن ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، والذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً . ومما لا شك فيه أن أمثال هؤلاء لا يرجى منهم إلا أن يكونوا على هذه النحيزة من الشر ، ولؤم الطبع ، وفساد الطوية ، وخبث النفس ، وهم فى هذه الحال أشبه بالعضو الذى احتوى على المرض الخطير ، وقرر الطبيب أن وجوده يودى بالجسم كله ، ويقضى على الأعضاء جميعها .

وخطورة هذه المواقف ، وصعوبة ثبوتها فى كثير من الأوقات لم يرض أن يكون ادعاء حدوثها قضية مسلمة ، بل أحاطها بسياج من الحذر ، وجعلها لا تتقرر فى الواقع إلا بشهادة العدول من المكلفين الأحرار ، وبخاصة الزنا لما يترتب عليه من التفريق بين الزوجين ، وتشريد الأطفال ، وتقويض صروح السعادة .. فإنه لم يقبل الشهادة إلا من أربعة شهداء يشهدون أنهم رأوا كلا من الرجل والمرأة على وضع خاص ، وجعل للمشهود عليهما الحق فى درء الحدود بالشبهات وليس بعد هذا حذر من العبث ، وصون للأخلاق ، وحفظ للأعراض ، ودفاع عن الأنساب التى هى الرصيد الضخم من المجد والشرف ، والعزة والكرامة . . .

وفى هذه الفاحشة تقول الآية القرآنية « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » وهو — جلت حكمته — يدلنا بهذا البيان ، على قيمة هذه الجريمة من الخطر الذى يهدد المجتمع ، ويفسد الأمة ، حين يأمر بهذه القسوة ، وتلك العلانية . . .

أما القاتل للنفس التى حرم الله قتلها فإنه حيوان تحولت طبيعته ، وفسدت غرائزه ، وأصبح الأمل فى الأنس به ، والمعاشرة له ، والحياة معه ، ورجاء النفع منه ، من الأوهام

مكتبتنا العربية

الباطلة ، والتخيلات المكذوبة ، لأن تلك الضراوة التى ظهرت عليه ، والوحشية التى بدت آثارها فيه ، دليل قاطع على أن الخير كل الخير كان فى استئصال شأفته من الوجود ، وذهاب آثار نفسه الشريرة من الحياة ، لئلا يهدد بقاؤه الناس ، ويشيع ظله الفوضى فى العالمين . . .

وكان المسلم الأول ، حين يتردى فى تلك المعصية يعتقد أن الشيطان قد انتصر عليه ، وأن الهوى قد غلبه ، وأن الطيش قد لعب به ، فلا يسعه إلا أن ينتقم من هذه كلها بالاعتراف على نفسه ، والتقدم بين يدى الحاكم ليقيم الحد عليه ، ويغسل عنه أوضار المعصية وقذر الذنب ... وقد ثبت أن ذلك العمل حدث أكثر من مرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن العهد كان قريباً من جهالة الكفر ، وفظاظة الشرك ، وخشونة البداوة وكان الظن أنهم يتجاهلون سلطان الشريعة ، وهيمنة الدين ، أو يحتالون الحيل لعدم الإذعان له جهد المستطاع ، ولكن رجولة العرب ، وصراحة المسلمين ، جعلت تلك الروح أشبه بالأشياء التى تصدر عن الطبع والعادة من غير تكلف ولا معاناة .

ولو أن الدين الإسلامى ظل له هيله وهيلمانه ، وكانت أحكامه تسود العبادات والمعاملات ، وآدابه مهيمنة على الأندية والمجتمعات ، وسلطانه يتركز فى أنحاء الدنيا ، ويتهامس الناس أن الحدود قائمة ، وأن الإشراف على تنفيذها يأخذ من رجال الإدارة والحكم اهتمامهم وعنايتهم ، لما سرى إلينا نبأ حوادث السرقات والغصب ، والفجور والعهر ، والعدوان والظلم ، والقتل وسفك الدماء ، ولظلت البسيطة ميداناً للسلام والوئام ، والسعادة والحب ، والطمأنينة والاستقرار ، ولما مشى هذا الفشل والفوضى إلى أوساطنا المختلفة بذلك القدر الشنيع ...

ويقيننا أن ما نقاسيه الآن من ذبذبة خالية من الاتزان ، مجردة من العقل ، بعيدة عن المنطق ، نائية عن الصواب ، مجافية للمصلحة ، سيحملنا - رغم أنوفنا - على أن نحتكم إلى القرآن فى هديه وإرشاده ، وتشريعاته وأحكامه ، وتوجيهه وتهذيبه ، ولا سيما حينما يبدو لنا أن ما نتخبط فيه من دساتير ونظم أجنبية عنا ، ما هو إلا أسلوب الأحمق ، وحيلة العاجز ، وربما كان ذلك قريباً جداً .

ابراهيم أبو الخشب
مدرس بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

شيخ الأزهر يعترض على القبعة

قالت جريدة « الأهرام » فى عددها الصادر يوم الأحد ١٢ أكتوبر :

على أثر ما أذيع خاصاً بأن اللجنة التى ألفت لتوحيد الزى أنها قد رأت استبعاد الطربوش كغطاء للرأس والاستعاضة عنه بغطاء عملى مناسب كالبيرية أو القبعة ، على أن يشمل توحيد الزى جميع المصريين ، عدا رجال هيئة كبار العلماء ، والعلماء المشتغلين بالتدريس ، توجه مندوب « الأهرام » إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وسأله رأيه فى هذا الزى المقترح ، فأفضى إليه فضيلته بهذا التصريح الهام .

إننى علمت أنه قد اقترح أن يكون الزى الموحد هو الزى الأوربى ، لأنه أصبح زيا عالميا ولأنه من الناحية العملية أكثر ملاءمة لهيئات العمال والفلاحين وهذا الزى يتألف من بنطلون وقميص بأثمان مناسبة .

وإننى أصرح بأن القبعة والبيرية ليستا زيا عالميا ، وأن مئات كثيرة من الملايين فى آفاق لا حد لها من قارات الأرض لم تتخذ هذا الزى ، ولذلك لم يبلغ أن يكون زيا عالميا ، ثم إنه ليس من الحتم على أية أمة أن تجارى الشكليات حتى لو كانت عالمية قبل أن تقتنع بأن ذلك أصلح لها .

والأصلح لجو كل أمة هو ما دلتها عليه تجارب ألوف السنين . وإذا استوحى المصلحون من هذه التجارب الطويلة ما يكون به توحيد الزى ، فإنهم يصيبون بذلك الغرض من التوحيد والإفادة من تجارب الزمن .

وإن مصر على الخصوص عضو ممتاز ومرموق فى العالم الإسلامى الذى زاد تعداده فى هذه السنوات على خمسمائة مليون ، ومن غير المنتظر أبداً أن يرضى العالم الإسلامى بأن يفنى شخصيته فى غيره ويندمج فى الزى الأجنبى عنه المزعوم أنه عالمى ، لا سيما وأن فى سنن الإسلام الجوهرية التى لا يمكن أن يتساهل فيها المسلمون — إلا بانحرافهم عن دينهم — أن يكونوا متميزين عن غيرهم . وأئمة المسلمين يعدون من الخروج على الإسلام الانحراف عن زيه إلى زى غير المسلمين فيما اختصوا به من علاماتهم ، وقد كان من علاماتهم فى القرون السالفة « الزنار » ، فكان لبس المسلمين يومئذ للزنار يعد فى الفقه الإسلامى خروجا على الإسلام يستحق فاعله العقوبة . والمتعارف الآن عند المسلمين فى مختلف أقطارهم أن القبعة هى علامة غير المسلمين التى يفترقون بها عن أهل الإسلام ، فلها الآن مثل حكم الزنار فيما مضى .

مكتبتنا العربية

وعلى كل حال فإن شهوة الانغمار فى الزى على زعم أنه عالمى — وما هو بعالمى — سيفصل المصريين وهم قلة قليلة من المسلمين ، عن إخوانهم من أمم العالم الإسلامى البالغ عددهم خمسمائة مليون ، وأول ما سيكون من سوء الأثر لذلك فى شطر وادى النيل الجنوبى . وقد جربت إحدى الامم الشرقية هذا الأمر قبل نحو ربع قرن ، وحملت شعبها عليه بالقوة ومع ذلك لا يزال شعبها حزينا آسفا مكسور الخاطر ، مما حمل عليه .

ولا يزال العالم الإسلامى ينظر إلى ذلك بعين الاستنكار والاستغراب ، وقد كان القائمون بهذه التجربة يتوقعون هم والذين شجعوهم على ذلك أن يكونوا قدوة فيه لأمم إسلامية أخرى .

فكان المسلمون أحصف من أن ينزلقوا فى ذلك ، لأنهم يعلمون أن به خروجا عن سنة من سننهم التى احترموها والتزموها منذ أربعة عشر قرنا . إن فكرة توحيد الزى فكرة حسنة ، ولكنها فى أى قطر يغلب على سكانه العمل بأحكام الإسلام ينبغى أن لايصطدم بسنة من سننه ليكتب لها النجاح والبقاء والرضا من جمهور الأمة .

وقد سأل مندوب « الأهرام » فضيلته عن الزى الذى يراه ملائما لنا ، فقال : للقائمين بالأمر أن يختاروا الزى الذى يرونه ملائما لنا ، على أن يكون مخالفاً لما امتاز به غير المسلمين .

المفتى كشيخ الأزهر

فى استبدال القبعة بالطربوش

سأل مندوب « الأهرام » الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية عن رأيه فى استبدال القبعة بالطربوش .

فأجاب بقوله : « إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال قولته ضد ذلك ، وبهذه القولة قطعت جهيزة قول كل خطيب » .

توحيد الزى

فى جريدتى (الأهرام) و (الأخبار الجديدة) الصادرين يوم ١٣ اكتوبر حديث لمندوبيهما مع السيد حسين أبو زيد وزير المواصلات جاء فيه قول الوزير عن توحيد الزى

« إن رأيى الشخصى هو أنه لادا عى للتفكير فى هذا الموضوع اليوم ، فليحن الوقت بعد لمثل هذا العمل ، فإن لدينا من المهام الخطيرة ما هو أجدر باهتمامنا فى الوقت الحاضر من توحيد الزى ، أما بالنسبة لطلبة المدارس فلا ضير هناك من أن تقتصر ملابسهم على القميص و « الشورت » .

مكتبتنا العربية

القرآن الكريم

والحاجة إلى المدارس التى تقوم على تحفيظه

والتلاميذ الذين يقبلون على حفظه

كانت « الكتاتيب » هى المدرسة الأولى لتعليم القرآن الكريم وعن طريقها كان يلحق الطالب بالأزهر الشريف ، ثم جاءت المدارس الأولية وكان فى برنامجها تحفيظ القرآن الكريم ليكون جواز المرور إلى الالتحاق بمدارس المعلمين الأولية ، ولما عمم التعليم الإلزامى لم تجد « الكتاتيب » لها مكانا بجوار ذلك المنافس الخطر فأغلقت أبوابها وانقرضت . ومن المؤسف أن ما كان يتعلمه التلميذ فى تلك المدارس لم يكن يزيد عن الثلاثة الأجزاء الأخيرة من القرآن ، فكانت بوضعها هذا ، الحلقة الأولى من السلسلة التى أريد إحكامها حول الجيل الجديد لتطويقه بها . ثم الابتعاد به عن حظيرة ذلك الكتاب المقدس . وعندما أصبح التعليم الابتدائى والثانوى مجانا دون قيد ولا شرط تهافت عليه الجميع وتحولت المدارس الأولية والإلزامية إلى مدارس ابتدائية لتستوعب الجيوش الجرارة من التلاميذ ، وبتحويلها هذا تمت الحلقة الثانية من السلسلة الرهيبة ، فقد قضى بذلك على تحفيظ القرآن الكريم بالمدارس إذا استثنينا بعض الآيات المتفرقة التى اشتمل عليها المنهج الدراسى ، أما قسم الحفاظ الموجود فى بعض المدارس فالإقبال عليه فى حكم المعدوم .

ثم جاءت الحلقة الأخيرة وهى النتيجة الحتمية لتلك المقدمات ، فقد نشر بجريدة الأهرام الصادرة فى صباح يوم ١٩٥٢/٩/٢٥ تحت عنوان « العناية بالقومية المصرية فى منهاج الدراسة الجامعية » موضوع قيل إنه معروض على لجنة العمداء بجامعة فؤاد تمهيداً لعرضه على مجلس الجامعة لإقراره . وقد كان هذا الموضوع خاصا بكلية دار العلوم ولكن جاء فى صلبه ما يأتى وهو بيت القصيد : « وإذ نظر المجلس فى الطلبات المقدمة رأى أن عدد المتقدمين من حملة الشهادات الثانوية فى الأزهر الشريف أقل بكثير من العدد المحدد هذا العام ، وأن قبول

مكتبتنا العربية

حملة شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص « التوجيهية » يتفق مع لائحة الكلية . وعلى هذا فقد قرر المجلس السماح لهم بالالتحاق بالكليات هذا العام ، أملا فى أن يكون هذا بداية عهد جديد تنتهى فيه الفروق الصناعية بأن يسمح لحملة التوجيهية بالانتساب إلى جميع كليات الأزهر الشريف ، كما يسمح لحملة الشهادة الثانوية الأزهرية بالانتساب إلى الكليات الجامعية ما لم يحل دون ذلك حائل فنى » . وهكذا اقتربنا من الخاتمة بصورة واضحة .

قد يكون معقولا أن يلتحق الطالب الأزهرى بالجامعات فى كلياتها المختلفة عدا الشعب التى تكون فيها اللغات الأجنبية مادة أساسية ، لأن المنهاج الثانوى فى الأزهر والمدارس واحد إذا استثنينا اللغات الأجنبية ، ولكن الذى لا يقبل عقلا ولا فرضا هو التحاق طالب الثانوى بالكليات الأزهرية وهو الذى لا يعرف من أمور دينه إلا القشور ، إذ كيف يرجى منه أن يكون واعظا دينيا أو خطيبا ومدرسا فى مسجد أو قاضيا شرعيا أو غير ذلك من الوظائف الدينية التى تحتم على صاحبها إجادة حفظ القرآن الكريم والإحاطة بالشريعة الإسلامية إحاطة تامة من جميع نواحيها وأصولها وفروعها .

مما تقدم يتضح مع الأسف الشديد أن القرآن الكريم سوف لا يجد المدارس التى تقوم على تحفيظه ، ولا التلاميذ الذين يقبلون على حفظه ، طالما أن هناك بالمدارس من المغريات ما يجتذب إليها التلاميذ ، وسيكون نتيجة لذلك أن يأتى يوم لا يجد فيه الأزهر من يتقدم إليه من الطلبة ليخرج لنا مصابيح الهدى وأعلام الشريعة ، وبذلك يكون ما جاء بجريدة الأهرام هو الملجأ الأخير والغاية المنشودة ، وعندها قل على الأزهر العفاء وعلى الدين السلام .

فإلى رجال العهد الجديد ، عهد النور والحرية والإصلاح ، وإلى فضيلة العالم العامل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أبعث بهذه الصرخة ، راجيا دراسة هذه المشكلة الخطيرة وأن يكون لها من رعايتهم ما هى جديرة به من العناية والاهتمام قبل أن يستفحل الخطب ويعم البلاء .

عبد الجليل النمر
مستشفى الأوقاف — بطنطا

مكتبتنا العربية

طليعة الوحي الإلهي

النص القـــرآني :

[اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم] .

اقرأ أول نجم نزل على محمد ﷺ :

روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم]

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضعيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب — وكان شيخاً كبيراً قد عمى — فقالت له خديجة : يابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يابن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم :

مكتبتنا العربية

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزرا .
ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

وكون هذه الآيات أول نجم نزل على محمد ﷺ هو ما اعتمده العلماء على وفق هذه الرواية الصحيحة المؤيدة بكثير من الروايات الأخرى .

ومن هذه الرواية نستطيع أن نتبين حالة الرسول قبيل البعثة ، وحالته عند مبدإ البعثة ، ثم حالته بعد أن تلقى أول نجم نزل عليه ، مما يرشد إلى أنه كان متهيئاً لها أتم التهيؤ ، فى حال أنه كان خالياً عنها تمام الخلو ، ثم تركيته وهو فى دهش الحادث ، فلم يقدر أن يضبط قواه ، ويراجع نفسه ، حتى يحكم فيها حكما جازماً بأنها وحى من الله ، فذهب يستعين بورقة بن نوفل - وهو من أولى العلم بهذا الشأن - كما أنها أوقفتنا على فترة الوحى بعد ذلك ، مما يدل على براءة ساحته من التقول والادعاء .

تصوير الموقف :

نزل الروح الأمين على محمد ﷺ بأول نجم من نجوم الرسالة العظمى التى مكثت تتنزل ثلاثاً وعشرين سنة ، كلها كانت جهاداً فى سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، بالدعوة تارة ، وبالهجرة أخرى ، وبالقتال ثالثة ، حتى تم له الأمر ، واستقر له الحال ، وأدى الرسالة تامة كاملة ، ثم تركها لخير أمة أخرجت للناس ولحق بربه . . !

فانظر ما ذا كان يقتضيه الموقف فى افتتاح تلك الرسالة العظمى ، من الرب الأعلى ، إلى محمد الأمى ، ليقوم بهذه المهمة الخطيرة .

محمد خالى الذهن عن مخاطبة من ربه ، اللهم إلا ما كان عنده من ذلك الشعور الذى حصل له بسبب الرؤيا الصالحة فى النوم ؛ وربه الأعلى يريد أن يرسله للناس ليبلغهم عنه نجوم هذه الرسالة ، ليمتثلوا ما فيها من أوامر ونواه . . فما تكون إذاً عناصر تلك الرسالة ؟

من المعقول أن تكون هذه الرسالة مشتملة على تعريفه بالمرسل للرسالة ، ثم بمنزلته منه التى تربطه به ، ثم بالمهمة المأمور بها التى هى غرض الرسالة ، ثم بالعلاقة التى تربطه بالمرسل إليهم ، ليصح منهم تقبل ما كلفوا به ، ثم تعريفه بالجهة التى تلزمهم بالاعتراف بتلك الرابطة .

المرسل هو الله ، وهو رب محمد ، ومهمة محمد التبليغ ، ثم هو رب الناس المبلَّغ إليهم ، ثم المبلَّغ هو ما يهتدون به إلى ما يجب عليهم التزامه فى هذه الحياة من مبدأ ومنهج وغاية ،

مكتبتنا العربية

ثم جهة الإلزام تكون أولا بإثبات ربوبيته لهم ، ثم بإثبات كرمه الذى يقتضى امتنانه عليهم ، ثم بإثبات استعدادهم لقبوله ، ثم بإثبات افتقارهم إليه .

أما إثبات ربوبيته فأوضح طريق له الدلالة البينة فى الخلق من التدبير الإلهى الماثل مثولا بيناً فى أطوار الإنسان .

وأما إثبات كرمه فبيان رحمته لهم ، وعنايته تعالى بهم .

وأما إثبات استعدادهم لقبوله فبيان أنه ميزهم بالعقل والفهم والعلم والقدرة على ضبط علومهم وتقييدها بالقلم .

وأما إثبات افتقارهم إليه فبيان أنه الهدى الذى تتوقف عليه سعادتهم من جهة ، وهو فوق طاقة إدراكهم من جهة أخرى .

ولو أن هذه الرسالة صيغت على سنن إنسانى مشتملة على هذه العناصر ، لبرزت على وفق التفكير الإنسانى ، بما يحوطه من مهارة فى القول ، وبراعة فى صيغة البيان ، لا يخرج به عن قدر البشر كالنموذج الآتى :

« من رب محمد إلى محمد . أما بعد ...

فإنى سأرسلك إلى الناس ، لتبلغهم عنى ما أوحيه إليك مما يهتدون به إلى سعادتهم ، إذ أنا ربك وربهم ، وخالقك وخالقهم ، وخالق كل شىء مما تنتفعون به حولكم ، ألم أخلقكم من ماء مهين تدرج فى تطورات الخلق طوراً بعد طور حتى صار إنسانا سويا فى أحسن تقويم ؟ ألم أميزكم على سائر الحيوان الأرضى بالعلم والعقل ؟ ألم أهدكم إلى ضبط معلوماتكم ومعارفكم بالكتاب ؟ ألم يكن كل هذا تفضلا منى عليكم ؟ أأعنى بكم هذه العناية التامة ثم أدعكم فى ضلالكم وأنا الرب الأكرم ؟ ! اقرأ يا محمد عنى ما ألقيه إليك والسلام » ؟

هذه هى الرسالة النموذجية التى يقتضيها موقف أول نجم من نجوم الرسالة لو صيغت صياغة إنسانية ، أما وإن القرآن سيكون معجزة بيانية للبشر فلا بد أن يضمن هذه المعانى فى أفضل البيان وأوجز القول ، فى أسلوب إلهى لا يقدر عليه البشر ، ذلك هو ما نزل فى أول نجم من قوله عز من قائل : [اقرأ باسم ربك ـ الآيات] .

بيان ما اشتمل عليه النص :

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالقراءة بقوله (اقرأ) ، ثم لم يذكر أى شىء

مكتبتنا العربية

يقرؤه . هذه القراءة باسم ربه الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . كان يكفى فى التعريف أن يقول له : [باسم ربك] إذ كان محمد لا يعبد رباً غير ربه [الذى خلق ، خلق الإنسان من علق] ، فوصفه بهذا الوصف لو لم يكن لفائدة فى الرسالة لكان ذكره - فيما يظهر - لغوا لا فائدة له ، ولو ذهبت تستقرىء وجوه الفوائد الممكنة من ذكره ، لما وجدت وجها أوجه من كونه توضيحاً لربوبيته تعالى ، توضيحاً يقتضى أن يكون ربا لجميع الخلق على العموم وربا لجميع الناس على الخصوص ، المستلزم لكونه رب محمد ، مع تضمنه الإشارة إلى جهة الدلالة على خلقه بإشارته إلى التدبير الإنسانى من عهد تدرجه من العلقة إلى أن صار إنسانا سويا .

وذكر العلق — واحده علقة — فى هذا المكان إن لم يكن وجهاً واضحاً من وجوه إعجاز القرآن ، فلا أقل من كونه معجزة علمية عند الخبيرين بشئون الأدلة وسياقها لتفيد الدليل القاطع على ما تساق اليه .

بيان ذلك : أن القرآن يطلق (علقة) على الطور الثالث من التطورات الإنسانية ، فأولها التراب ، ثم النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، . . . قال تعالى « يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة » . فكان من الممكن أن يقول (خلق الإنسان من تراب) وكان من الممكن أن يقول : خلق الإنسان من نطفة ، وكان من الممكن أن يقول : خلق الإنسان من مضغة . لكن تخير « علق » فى مقام الاستدلال على أن الإنسان مخلوق لابد له من خالق ، تخير عجيب أشد العجب ، إذ هذا الطور لا يطلق إلا بعد ظهور آثار تعلق الجرثومة المنوية ببويضة الأنثى فى الرحم ، هذا التعلق الذى يبتدىء منه التطور التكوينى للجنين ، هذا التعلق المزدوج من نطفة الرجل وبويضة المرأة هو الذى يتكون منه الذكر تارة والأنثى تارة أخرى ، فلو لم يكن هذا التعلق من هذين الشيئين لما كان ذكر ولا كانت أنثى ، ولو لم يكن ذكر ولا أنثى لما كان هناك شىء من هذا التعلق ، فلو ذهبنا نتوهم مبدأ السلسلة على مذهب الطبعيين لوجدناها لا تتناهى إلى حد . وإذاً فلا بد من التسلسل فى سلسلة وجودية شخصية لا تتناهى إلى ابتداء فى القدم وهو محال ، إذ هى حوادث متوقف بعضها على بعض فى الشاهد فلا بد أن تكون لها علة أولية لا تتوقف على معلولها ، وإذاً لا بد أن يكون مبدأ هذه السلسلة إما التعلق من جرثومة وبويضة لا علاقة لها بالذكر والأنثى ، وإما الذكر والأنثى من غير توقف على جرثومة الرجل وبويضة المرأة وفى كل من الغرضين خروج على مقتضى

مكتبتنا العربية

الطبيعة فى تكوين الأشياء . ثم إذا استمر بك البحث فلا بد من الاعتراف بأن هناك قدرة خارجة كونت الذكر والأنثى تكويناً صالحاً للاقتران ، لا من طريق تعلق الجرثومة الذكرية بالبويضة الأنثوية ، تبتدىء منهما السلسلة ، أو كونت الجرثومة والبويضة تكوينا صالحا للتعلق فى مكان صالح للتربية غير هذا المكان حتى يتكون منهما الذكر والأنثى، وعلى أى فرض فهو اعتراف باحتياج الإنسان فى خلقه إلى خالق مبدع ، ثم إذا نظرنا إلى هذا التدبير الذى يحوط هذا التطور ومبادئه ، من جعل أعضاء التذكير فى الذكر ، وأعضاء التأنيث فى الأنثى ، وكيفية تحول الغذاء الناشىء من التراب نطفة مشتملة على الجراثيم ، ثم القذف بها على طريقة أعد لها من الغرائز والمقتضيات ما أعد ، ثم تحول مثل ذلك فى الأنثى إلى بويضات قابلة للجراثيم ، ثم المكان الصالح للتربية ، وإعداد الغذاء الصالح إلى غاية الاستكمال الجنينى ، ثم تصوير الجنين فى هذا المكان المظلم البعيد عن المؤثرات الخارجية كل البعد ، تصويرا يهيئه لما أعد له فى هذا الوجود ، فتبدع له العين الباصرة ، والأذن السميعة ، واليد الصانعة ، والحواس الظاهرة والباطنة ، والأجهزة المختلفة ، كالجهاز التنفسى ، أو الجهاز الهضمى ، والجهاز العصبى ، ثم إعداده لموهبة العقل ، ثم تسويته فى أحسن تقويم ، ذكرا أو أنثى ، ثم قبوله للنماء إلى أن يصير إنسانا سويا .

كل هذا مع ما بيناه من التوقف المذكور آنفا يجعلك تجزم جزما لا شك فيه بوجود الخالق المدبر الحكيم القدير العليم .

ثم لو نظرت مثل هذا النظر إلى سائر الحيوان لوجدته مثل الإنسان سواء بسواء ، ولو نظرت مثل هذا النظر فى النبات لوجدته كذلك ، ولو انتقلت بنظر إلى الجماد لوجدته مركبا من البسائط (العناصر) على نسب خاصة ووجدت تلك البسائط مكونة من الذرات على كيفيات خاصة ، ونظرت إلى الذرة فوجدتها مجموعة قوى متماسكة يدور بعضها على بعض أشبه شىء بالنظام الشمسى قابلة للانفكاك والفناء ، لعلمت علماً لا شك فيه أنها مفتقرة إلى مدبر لها آخذ بناصيتها .

ولو نظرت إلى ذلك كله لوجدت العالم كله عللا ومعلولات ، أو بعبارة أصح ، أسبابا ومسببات ، يتوقف بعضها على بعض لابد من انتهائها إلى مبدعها الذى لا أول له ، سبحانه ما أعظم خلقه وما أحكم أمره .

بذلك ثبت أن الإنسان مخلوق كما أن العالم مخلوق لخالق قادر ، وكون الخالق ربا لخلقه أمر يكاد يكون بدهيا ، إذ الرب هو المالك المتصرف ولا شىء أقوى من الخلق يوجب الملك

مكتبتنا العربية

والتصرف ، وكون المملوك واجباً عليه أن يمتثل أمر مالكه أمر كذلك ضرورى الإدراك إذ المملوك فى حيازة مالكه ، يتصرف فيه بما يشاء ، ويأمره بما يريد ، فإن لم يفعل استحق الجزاء ؛ جزاء خروجه أو محاولة خروجه على تصرف مالكه ومربيه . تلك العلاقة وحدها هى التى توجب على محمد ﷺ امتثال أمر ربه فى التبليغ ، كما توجب الامتثال على المبلغ إليهم .

والمفعول المحذوف هو ما يقرؤه محمد ﷺ باسم ربه لا باسم نفسه وهو ما أوحى اليه . والمعنى اقرأ ما أوحيه اليك باسم ربك ... الخ (١)

ثم إعادة الأمر وتقييده بأكرمية ربه فى قوله تعالى [اقرأ وربك الأكرم] يدل على على أن المقروء من وادى ما يتكرم به الرب سبحانه وتعالى على محمد ﷺ ، وتوضيح الأكرمية بالتعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم فى قوله [الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] يدل على أنه من وادى ما تتم به تلك الأكرمية ، ولو ذهبت تحلل معنى (أكرم) وما به يكون الكرم لوجدت أن معنى الكرم لا يصح إلا حيث يكون المتكرم متفضلا ويكون المتكرم عليه فى حاجة إلى هذا التفضل ، إما لسد نقصه أو لتتميم كماله ، وتطرد نسبة عظم الكرم لنسبة مقدار الحاجة إلى المتكرم به ، وفائدتها عند المتكرم عليه ، فكلما اشتدت حاجته إليها ، وزادت فائدتها عنده من دفع ضر أو جلب نفع ، عظم هذا الكرم والعكس بالعكس .

وإنما كان التعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم كرما من الله سبحانه وتعالى بعد الخلق لأنه ميزة الإنسان على سائر الحيوان الأرضى ، ولما كان الخلق على الوجه السابق من كرم الله كان التعليم على هذا الوجه من زيادة كرمه المعبر عنه بالأكرمية ، ولما كانت هذه الأكرمية لا تتم إلا بهداية الرسل كان ذكرها من مؤيدات إرسال الرسل بهذه الهداية التى تتم بها أكرميته سبحانه ، إذ الإنسان مفتقر إليها فى تحصيل سعادته فى الأولى والآخرة ولا يستطيع الحصول عليها إلا بوحى إلهى .

ومن علم قيمة القلم والعلم الذى أنتجه العقل البشرى وهدى الرسالة الذى هو كمال هاتين النعمتين ، علم مقدار كرم الرب الأعلى على الإنسان الضعيف الفقير إليه الذى لا يملك من شأنه شيئاً إلا بنعمة الله وفضله .

فانظر لهذه الرسالة المباركة ، وأشهد بأنها من كتاب ليس من قول البشر ؟

محمد السماحى
مدرس بكلية أصول الدين

---

(١) من العجب أن تبقى بشارة التوراة ملوحة بهذا المعنى إذ يقول فيها [أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه] .

مكتبتنا العربية

باب الأسئلة والفتاوى

البهائيون

مرتدون وخارجون عن دين الإسلام

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

١ — ما رأيكم فى النحلة البهائية ومعتنقيها من الإسلام ؟

٢ — هل يورّث معتنق البهائية من المسلم ؟

على محمد الوقاد
١٢٩ شارع السد البرانى - قسم السيدة زينب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان المرافق الذى شرح به المستفتى مبادىء المذهب البهائى . وتفيد بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام فى شىء ، بل أنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجا عن دين الإسلام .

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء . منها : ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والألوهية لبعض آخر ، وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب والكفر هو مخالفته ، وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان ، إلى غير ذلك .

ومن المقرر شرعا أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره . وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

مكتبتنا العربية

تصوير المرأة العارية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

أنا تلميذ فى معهد من معاهد الرسم والتصوير التى تشرف عليها وزارة المعارف ، وبرنامج الدراسة فى هـذا المعهد يشتمل على رسم المرأة وهى عارية الجسم من كل ساتر ، وعلى هذا تحضر إلينا المرأة وتقف بين عدد كبير من الطلاب ويأخذ كل من الطلبة فى الأمعان إلى جميع أجزاء جسمها ويرسم جميع ما يتناوله النظر لا فرق بين عورة وغيرها .

فهل يجوز شرعاً ذلك الرسم على النحو السالف الذكر . وهل يعتبر التعليم مسوغاً وضرورة تبيحه ؟ كال أحمد

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن جميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الأجنبي إليه ، ما عدا وجهها وكفيها فإنه يجوز كشفهما ونظر الأجنبي إليهما أيضاً إذا أمنت الفتنة . أما إذا لم تؤمن الفتنة فإنه لا يجوز النظر إليهما أيضاً ويجب على المرأة سترهما .

نعم يجوز لضرورة العلاج أن ينظر الطبيب إلى شيء من جسم المرأة مما يحرم النظر إليه فى ذاته بقدر ما تقتضيه ضرورة العلاج ، ولا يجوز فيما عدا ذلك .

ويجوز لكل من القاضى والشاهد أن ينظر إلى وجه المرأة الواجب ستره لتعرف شخصيتها .

وعلى ذلك يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراما ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك وأن ينظر إلى أى جزء من جسمها فيما عدا الوجه والكفين كما قدمنا . ويحرم أن يكون هذا النوع من التصوير فى مناهج الدراسة .

والتصوير على النحو الوارد بالسؤال يترتب عليه مفاسد خلقية واجتماعية ، ولا تقره شريعة من الشرائع السماوية . وليس تقرير هـذا التصوير فى منهاج الدراسة مبيحاً للطالب أن يسير فيه ، كما أن المصور الذى يتعيش من أجر هذا التصوير . لا يجوز له مباشرة هذا العمل فإن الكسب الحاصل منه خبيث ، وهو منهى عنه شرعاً . ويجب عليه أن يتخذ طريقاً آخر للعيش يكون حلالا . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

الكتب

المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول

نشأتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوى والأدبى

لأول مرة فى تاريخ جامعاتنا العربية تصدر عن خريج من أبنائها دراسة جيدة لموضوع عن تراث العروبة والإسلام تشعر منها وأنت تتنقل بين فصولها بأن كاتبها قد هضم موضوعه وعاش فى بيئته ، وتحرى معرفته كما لو كان معاصراً له . ذلك هو كتاب المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الذى ألفه الدكتور شكرى فيصل لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، فكان موضع تقدير اللجنة التى ناقشته ، وإنها قد أحسنت إذ منحته عليه أعلى الدرجات .

وقد نشر الدكتور شكرى فيصل مؤلفه هذا فجاء فى ٤٨٦ صفحة كبيرة بالحرف الدقيق مؤيدة بالنصوص ، مشفوعة بتسمية المصادر والدلالة على مواضعها . وهو يقول فى تصدير كتابه : إن الفقر فى دراسة التاريخ الإسلامى لا يرجع إلى فقر مصادرنا التى تعودنا أن نشكو منها ، بل إلى أننا لم نحسن بعدُ استثمارها واستقطارها ، ثم أعلن حقيقة ثانية وهى قوله : أخذنا كتبنا القديمة بمفاهيمها الحديثة ، وكان ذلك مصدر كثير من أخطائنا . وعقب على هاتين الحقيقتين بحقيقة ثالثة فى قوله : من المؤكد أن المراجع الأولى الأصلية — كالطبرى والبلاذرى وابن عبد الحكم — تتيح لنا قدراً من المعرفة ، ومن المتعة أيضاً ، لا يتوفر فى المراجع المتأخرة . وقد نجد فى مرجع متأخر قدراً أكبر من الحوادث ، ولكننا نعرف كيف تتضخم الحوادث مع الزمن ، أثراً لكثير من الأهواء والنزعات .

فأنت ترى أن هذا المؤلف الجيد استطاع - وهو فى المرحلة الأولى من حياة التأليف - أن ينتبه إلى مزالق الخطأ فى دراسة تاريخ الإسلام ، فآثر الأخذ من الينابيع الأولى الصافية متوقعاً أن يكون التضخم فى سرد الحوادث عند المتأخرين يحتمل أن يكون من أثر الأهواء

مكتبتنا العربية

والنزعات. وانتبه إلى أن لغة الأقدمين يجب أن تفهم بمدلولاتها عندهم لا بمفاهيمنا الحديثة، وإلا كان ما نفهمه منها غير الذى أرادوه بما قدموه لنا. وانتبه قبل هذا وذاك، إلى أن النصوص التى تركها لنا السلف عن أحداث زمنهم، تكفى لمعرفة حقيقة تلك الأحداث.

ونحن نضيف إلى ملاحظاته أن الكتب القديمة التى ألفت فى التاريخ يجب على من يريد أن يستفيد منها، أن يدرك مشارب مؤلفيها ويعرف أقدارهم، ثم إن أئمتنا أنفسهم قد كانوا من سعة الصدر واحترام حرية الرأى إلى الحد الذى يوردون فيه حتى روايات خصومهم، لكنهم يعتمدون فى إيرادها على تسمية رواتها ليكون القارىء على بينة من قيمتها. ونحن الآن لا نستطيع أن نميز بين الرواية التى رواتها ثقات، من الرواية التى رواتها قد يكونون من أهل الأهواء والأغراض، إلا إذا رجعنا فى النقد إلى قواعد الجرح والتعديل وإلى تراجم الرواة التى كتبها العلماء بهذه القواعد. فإذا وقفنا على ذلك وأعطينا لكل ذى حق حقه أمكننا الاستفادة من مقارنة الأخبار بعضها ببعض والأخذ بما يستحق الأخذ به، والاعتبار بما يصلح للاعتبار به. ومن هذه المقارنة يتوصل الدارس إلى حقائق أدسم وأثمن وأدعى إلى الاطمئنان مما لو اقتصر المؤرخ القديم على النصوص المعتبرة عنده وأهمل ما عداها.

ودراسة الدكتور شكرى فيصل للمجتمعات الإسلامية فى القرن الأول تتألف من تمهيد عن الجزيرة العربية، ومن أربعة كتب، عنوان أولها، من الجاهلية إلى الإسلام، بحث المؤلف فيه حال المجتمع العربى قبيل الإسلام وعند ظهور الإسلام، وكيف تشكل المجتمع العربى فى صدر الإسلام. وعنوان الكتاب الثانى، نشأة المجتمعات الإسلامية الجديدة فى الأقطار المفتوحة، بحث فيه حالة المجتمع الجديد فى الشام، ثم فى العراق، ثم فى مصر وطرابلس وبرقة والنوبة، ثم فى المغرب، فالمجتمع الجديد فى الجناح الشرقى من المملكة الإسلامية. وعنوان الكتاب الثالث، التطور اللغوى، بحث فيه عن التطور الكمى والتطور الكيفى، وعن العلاقات اللغوية فى أواخر القرن الأول. وعنوان الكتاب الرابع، التطور الأدبى، بحث فيه عن الدور الأدبى الأول وهو دور الهدوء، وعن الدور الأدبى الثانى وهو دور اليقظة والتفتح.

ومما ساعد المؤلف على تجويد عمله، وعلى أن ينظر إلى البحوث الإسلامية وتركة السلف بعين العلم المسلمة، أنه نشأ فى بيت علم تحت جناح خاله محدث الشام الشيخ محمود ياسين - رحمه الله - ولذلك قال فى تصدير الكتاب، إن صلتى الرسمية بالموضوع تبدأ منذ أن

مكتبتنا العربية

سجلته فى الجامعة لدرجة الدكتوراه ، غير أن صلتى الشخصية به ترجع إلى بعيد حتى تبلغ الفترات الأولى التى كانت تتفتح فيها أذهاننا - فى سنوات الدراسة - لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى ، وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أبوىء الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التى تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك - فى شىء من العمق - دورها الفخم فى قيادة الناس ، وأسلوبها فى جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة . .

ولو أن كل متخرجى الجامعات العربية فى مصر والشام وغيرهما ينظرون إلى تراثهم بعيونهم هم - كما فعل شكرى فيصل - لا بعيون الاغيار من أجانب وشانئين ، لأوشك أن يبدأ لنا دور على فى حياة النهضة ، يصحح إيمان الأمة بماضيها ويسدد طريقها نحو مستقبلها ، ويفسح لها مكاناً بين الأمم التى تحترم نفسها ويحترمها الناس .

هذا وإن المؤلف لما مضى فى تأليف كتابه (المجتمعات الإسلامية) شعر بحاجة هذا البحث إلى أن يكون فى جانبه بحث آخر متمم له ، بل هو منه بمنزلة الأساس الذى يقوم عليه بناؤه ، وهذا البحث الآخر هو (حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول) وقد جاء هذا الكتاب الثانى فى نحو ٢٠٠ صفحة واعلنا نتكلم عليه فى جزء آخر من مجلة الازهر إذا شاء الله .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العواصم من القواصم

فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

كما أن الصورة التى يجدها المسلم فيما جاء عن الأنبياء فى القرآن الحكيم تتفق مع ما يشترط فيهم من العصمة والكمال الإنسانى لتتم القدوة بأعمالهم ، وتحسن الأسوة بأخلاقهم ؛ بينما الوارد عنهم فى كتب أخرى لغير المسلمين يخالف ذلك ويصمهم بما لا يتفق مع ما يحملونه إلى الإنسانية من رسالات الله ؛ كذلك ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم وفى أمهات كتب السنة ونصوص الأعلام من أئمة الإسلام عن أصحاب رسول الله ﷺ وما كانوا عليه من سلامة الدين وصدق اليقين والتزام الحق والتحلى بالفضائل فى سلمهم وحربهم وفى اتفاقهم واختلافهم وفى خاصة أنفسهم أو ما كانوا يتحملونه من أعباء الأمة ، فإن ذلك هو الذى يتفق مع سيرتهم التى كانوا عليها فى الواقع ، كما يتفق مع ما أثنى الله به عليهم فى مواطن كثيرة من كتابه الحكيم ، ومع ما وصفهم به رسوله ﷺ بقوله « أصحابى كالنجوم » وقوله

مكتبتنا العربية

« خير القرون قرنى » . وقد خلف من بعد الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان خلف كان تدوين الأخبار فى زمانهم ، فاختلق بعضهم على القرن الذين كان منهم رسول الله ﷺ وعلى الذين جاءوا بعدهم من المجاهدين والدعاة الفاتحين ، أخباراً قد يكون لبعضها أصل سليم لكنهم حرفوه وزادوا فيه ، ما أخرجه من باب الفضيلة إلى ضدها ، حتى صارت لأشرف عصور الإنسانية فى أذهان الناس صورة كاذبة مشوهة تخالف ما كان عليه أولئك المجاهدون الأبرار والأولياء الأخيار ، بسبب هذه الكتب التافهة التى كان بعض مؤلفيها كبعض الصحفيين فى عصرنا هذا . وقد كان الأقدمون يعدلون عن هذه المصادر المريضة إلى المأثور فى كتب السنة ومؤلفات الأئمة للوقوف على حقيقة ما كان فى زمن الصحابة والتابعين ، وما كانوا عليه فى اتفاقهم واختلافهم . ثم جاءت عصور عمت فيها البلوى بكتب من لا يميزون بين الروايات الصادقة والروايات الكاذبة ، وقل عدد القارئين الذين يحسنون الرجوع إلى كتب المحدثين والمحققين ، فرأى إمام المالكية فى عصره وكبير فقهاء الأندلس وعلمائها القاضى أبو بكر بن العربى أن هذه الحالة من قواصم الحق فى الإسلام ومن أكبر المصائب الواقعة على المسلمين ، وأى شر أعظم من أن يكون لأمة ماض كريم مشرف فتمد إليه يدها بالتشويه حتى تحيل فضائله رذائل ؟ ! لذلك ألف كتابه (العواصم من القواصم) وأعلن فيه الحقائق التى تعصم الأمة من هذه الأكاذيب القاصمة والمفتريات المنكرة .

وقد رأت (لجنة الشباب المسلم) وهم طائفة من خريجى الجامعات المصرية المنتسبين إلى الإخوان المسلمين أن هذا التحقيق التاريخى العظيم من خير ما يجب على المسلمين تدبره والوقوف على حقائقه ونشرها فى العالم الإسلامى ، فاقترحوا على رئيس تحرير هذه المجلة أن يعلق عليه بما يزيده وضوحا ، وبما تقوى به الحجة ويستنير الحق ، فقام بهذا العمل لوجه الله عز وجل متقرباً به إليه ، فجاء كتاباً جامعاً من النصوص الأصيلة عن عصر الصحابة ما لو أراد باحث أن يجمعه من مظانه ويلتقطه من مراجعه لاحتاج إلى مجهود عظيم ووقت طويل . والحق أن الأخطاء العالقة فى أذهان الناس عن عصر الصحابة الزاهر الباهر قد صححت كلها ولله الحمد بعلم القاضى ابن العربى وبالتعليقات القيمة التى ألحقت به . فأصبح من المأمول بعد اليوم أن يصحح المؤلفون فى التاريخ الأخطاء التى كانوا يحدونها فى المصادر المألوفة ، وأن يعتمد مدرسو التاريخ الإسلامى فى الأزهر ومعاهده والمدارس والجامعات هذه النصوص الصحيحة التى احتواها كتاب (العواصم من القواصم) وتعليقاته . وهو فى نحو ثلاثمائة صفحة ، وفى أوله تصدير بقلم محرر هذه المجلة ، وترجمة مطولة للإمام

مكتبتنا العربية

ابن العربي من نشأته إلى وفاته ، وفصل عن الصحابة وأنهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ، وأنه لا ينتقص أحداً منهم إلا زنديق. وبآخر الكتاب فهرس مطول للموضوعات ، وفهرس للأعلام التاريخية ، وآخر للأعلام الجغرافية ، وجريدة بالمراجع التى كان الاعتماد عليها فى كتابة التعليقات . فتلفت الأنظار إلى هذا الكتاب النفيس ، ونحث كل مشتغل بالتاريخ الإسلامى تأليفاً أو تدريساً على قراءته بتدبر وإمعان .

بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى

بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل أحد بطون بنى عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، كانت مواطنهم الأولى فى نجد مما يلى المدينة ، فلما تنقلت قبائل الجزيرة فى صدر الإسلام لتتخذ لها منازل قريبة من معسكرات الزحف للجهاد والفتوح ، كثر بنو خفاجة فى العراق والجزيرة ، وتفرقت قبائل منهم فى الشام والأندلس وجاء بعضهم إلى مصر ، كما فى سبائك الذهب للسويدى المقتبس من كتاب أنساب العرب للقلقشندى . وأقدم من وفد من قبائل قيس عيلان إلى أرض مصر بطون من فهم وعدوان . وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى القيسى نزلت أرض مصر فى سنة ٩٠ هـ بنو سليم وقبائل قيسية أخرى . وفى خلافة هشام ابن عبد الملك ، تولى مصر عبد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول القيسيين ، فقدم ثلاثة آلاف من قيس ، أذن لهم هشام بذلك مشترطاً أن لاينزلوا بالفسطاط ، فوزعوا على الحوف الشرقى ومنهم مائة أهل بيت من بنى عامر بن صعصعة الذين منهم بنو خفاجة فنزلوا فى بلبيس ، وعملوا فى الزراعة . وفى خلافة مروان بن محمد كان الوالى له على مصر الحويثرة بن سهيل الباهلى فمات مروان وبمصر ثلاثة آلاف بيت من قيس ، ثم أحصوا فى ولاية محمد بن سعيد فكانوا ٥٢٠٠ كما يقول المقريزى فى البيان والإعراب .

وكتاب (بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى) ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر ، وهو فى خمسة أجزاء فى أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ألمّ بكثير مما فى كتب الأدب والتاريخ المتداولة من أخبار هذا الجذم من بنى قيس عيلان ، وترجم لأعلامهم من شعراء وفرسان وساسة وعلماء ، ونوّه بالبارزين من أفاضلهم المعاصرين ، وبذلك جمع الكتاب أقصى ما وصلت إليه يد المؤلف من المعلومات عن هذا الفرع الخصب من أرومة العروبة المباركة ، التى ملأت الدنيا فخرا وذكرا .

مكتبتنا العربية

وعساه ، إذا أتيح له إعادة طبع مؤلفه هذا ، أن يستقصى النصوص فى المراجع الأخرى ليكون كتابه أشمل ، وأن يحذف منه ما لا يدخل فى موضوعه . وكان أليق به أن يكون فى كتب أخرى ، ثم أن يعيد تنظيمه تنظيما عملياً ، لأن موضوعه الطريف جدير بهذه العناية .

المختصر فى علم رجال الأثر

هو كتاب فى علم السنة والتعريف برجالها . ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف مدرس هذه المادة فى كلية الشريعة وسد به فراغا كان يشعر به الطلاب ، فتكلم فيه عن الإسناد وطبقات الرواة مبتدئا من طبقات الصحابة فالتابعين وأتباع التابعين ثم تكلم على الجرح والتعديل وتاريخ علم الحديث رواية ودراية وتاريخ علم المصطلح وأشهر كتبه . وعقد بابا لتواريخ الرواة من زمن الصحابة إلى عصر التدوين فجاء الكتاب فى ٢٢٤ صفحة حافلا بكل ما يحتاج إليه من يريد الوقوف على علم السنة وعناية المسلمين به .

الملكية فى الإسلام

هو بحث كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى عن الملكية الخاصة فى الإسلام فى الأعيان والمنافع ، وما يقبل منها الملك وما لا يقبله ، مع المقارنة بمدلول الملكية فى النظام الرأسمالى وأنظمة الشيوعية والاشتراكية والنازية والأديان الأخرى ، وتعرض لمعنى الرق فى الإسلام ، وللخدمات التى لا تملك ، وأن العمل منشأ الملكية . وبعد أن استوفى المعانى التى تعرض لها تكلم على غاية تشريع الملك فى الإسلام ، وعلى نظام الملكية الإسلامى وقيمته وأثره . والكتاب مستمد من مراجع كثيرة إسلامية وأجنبية وهو فى ١٤٦ صفحة بعد مقدمة فى ٢٤ صفحة . فنلفت إليه الأنظار .

فلسفة غاندى الاقتصادية

بحث يبين فلسفة غاندى الخاصة المحتوية على مبادئه وآرائه المستقلة التى تختلف عما لدى الغرب من مثيلها فى الاقتصاد . وهذا البحث بقلم الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى ، ويقع فى ١٥ صفحة ، ومن مطالعته تتكون عند القارىء فكرة عن الانقلاب الذى حدث فى مبادىء الهند الاقتصادية .

مكتبتنا العربية

النشاط الثقافي للأزهر

جماعة كبار العلماء

في صباح الأربعاء ٢٥ المحرم اجتمعت جماعة كبار العلماء برياسة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر لأول مرة بعد توليه منصبه ، وقد افتتح الجلسة باسم الله عز وجل ، والدعاء إليه تعالى أن يوفقه إلى العمل لخير الأزهر .

وعلى إثر ذلك تلى الأمر الملكي الخاص بتعيينه شيخاً للأزهر ، فرحب به حضرات الأعضاء . وألقيت في ذلك كلمات من الأساتذة المشايخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وعبد اللطيف السبكي ، ومحمد عرفة ، أشادوا فيها بصفاته الحميدة ، وعاهدوه على أن يكونوا يداً واحدة لخير الأزهر والأزهريين .

وأخذت الجماعة بعد ذلك في توزيع الأعمال على الأعضاء ، فاختار بعضهم البحث أو التدريس ، واختارهما بعضهم معاً .

وعرض الأستاذ الأكبر على الأعضاء ما قد يذاع عن الإسلام من آراء لا تتفق معه ، ويحسبها بعض الناس من صميم الإسلام وهي ليست منه في شيء ، وبعد البحث تقرر أن تؤلف لجنة من حضرات الأعضاء للرد على هذه الآراء . كما تقرر أن تؤلف لجنة أخرى لتنظيم إلقاء المحاضرات بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر ، وألفت لجنة ثالثة لتنظيم أعمال اللجان وتحديد مهمة كل لجنة بالتفصيل على أن يقدم ذلك كله إلى جماعة كبار العلماء لإقراره في اجتماعها المقبل .

ثم تحدث الأستاذ الأكبر في مسألة التبرع لمشوهي الحرب ، فتقرر أن يساهم الأزهر في هذا العمل الإنساني النبيل ، وتبرع أعضاء الجماعة لذلك بخمسة في المائة من مرتباتهم عن شهر أكتوبر ، ثم ينظر في تقدير نسبة معينة تؤخذ من الموظفين والعلماء من مختلف الدرجات من مرتباتهم عن الشهر نفسه .

وكيلا الأزهر

باشر صاحبا الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيلا الأزهر الجديدان عملهما في هذا الشهر . ومما قاله الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن للذين زاروه مهنئين : « إن التهنئة تكون على قدر العمل . وقد قال الله عز وجل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

مكتبتنا العربية

والمؤمنون » . وقال الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز المندوب الأهرام : إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر رجل يؤمن برسالة الأزهر ، وسيبذل جهده فى سبيل أداء هذه الرسالة وهى رسالة الإسلام . ثم قال : إن أعوانه متعاونون معه على ذلك فى صدق وإخلاص . وإن النجاح فى هذا وغيره موقوف على تعاون حضرات علماء الأزهر جميعا فى أداء واجبهم ، وعلى أن يعتبر كل واحد منهم مسئولا عن هذا النجاح ، فإذا حصل هذا . اعتبرنا أنفسنا قبل كل شىء مسلمين مجاهدين فى سبيل الله وفى رفع كلمة الإسلام . فإن الله أكرم من أن يخذل المؤمنين المجاهدين .

افريقيا والبعوث الإسلامية :

كان من بين الأقطار التى عرفت فضل الأزهر على نشر الدين الإسلامى وحفظه ، قطر صغير من أقطار إفريقيا ، يمتد على ساحل البحر الأحمر ، ويقع شرقى السودان وجنوبيه وشرقى الحبشة وشمالى الصومال الفرنسى ، وكان مستعمراً لإيطاليا ما يقرب من سبعين عاما حتى كاد يصبح بلداً إيطالياً فى سياسته واقتصادياته ولغته الرسمية ، لكنه ـ مع ذلك ـ احتفظ بدينه وتقاليده .

هذا القطر هو إريتريا وعاصمته « أسمرا » التى ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من سبعة آلاف قدم .

فى عام ١٩٤٧ اتجه هذا القطر إلى الأزهر يطلب منه عالما يقوم بالتدريس فى جزء من المسجد الكبير اتخذه أهله ليكون محلا لدراسة الدين الإسلامى واللغة العربية مع بعض من تخرج فى الأزهر من أهل هذا القطر . فوقع اختيار الأزهر على فضيلة الشيخ على مصطفى الغرابى المدرس الآن فى كلية أصول الدين ، وسافر فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٨ وهذه أول بعثه أزهرية بل إسلامية إلى بلد إفريقى مجاور لإثيوبيا ، فكان إيفاد عالم أزهرى مصرى نعمة وبشرى للمسلمين فى إريتريا وأثيوبيا ، وانتشر خبر البعثة فى الصومال الفرنسى والبريطانى والإيطالى وأوغنده وكينيا ، وتطلع المسلمون فى هذه البلاد كلها إلى أن يكون لهم مبعوثون أزهريون كما كان لإريتريا ، أو على الأقل أن يزور مبعوث الأزهر إلى إريتريا بلادهم ويقيم بينهم ليستضيئوا من نور الإسلام .

ووقعت بينهم وبين المبعوث اتصالات وتعارف ، بالرسائل والخطابات ، ثم طلبوا منه السفر لزيارة بلادهم فحول خطاباتهم إلى إدارة الأزهر للتصرف ، وكان من أثرها إرسال البعثة الطوافة المؤلفة من الأستاذين الشيخ عبد الله المشد والشيخ محمود خليفة ، والتى قامت بمهمتها خير قيام . وكتبا تقريراً مسهباً عن حالة المسلمين فى البلاد التى زاراها ، وعما يجب على الأزهر نحوهم من إرسال البعوث من العلماء الأزهريين ، وتقبل بعوث الطلبة وإرسال الكتب إليهم لتنشر الثقافة الإسلامية فى ربوع إفريقيا .

ولقد كان ذلك كله أثر البعث الأول إلى إريتريا على الرغم مما صادفه من عقبات أهمها :

مكتبتنا العربية

(١) منهج الدراسة - لما وصل مبعوث الأزهر إلى إريتريا كان الطلبة الذين فى المعهد ليس لهم منهج دراسى معين ، وإنما هى دراسات عامة فى النحو والفقه والتوحيد ، فنظم الدراسة فى المعهد على حسب المنهج فى المعاهد الدينية المصرية ، وأدخل فيه نظام انتقال الطالب من سنة إلى أخرى بعد أداء الامتحان فى المواد التى درسها .

(٢) الكتب - لم يكن عند الطلبة الكتب المقررة على حسب المنهج ، ولم تكن الحكومة الإنجليزية لتسمح بإدخال كتب من مصر ، فاشترطت أمرين : أن يكون الدفع بالاسترليني ، وأن يكون الترخيص بمجيء الكتب مباشرة .

إطعام الطلبة :

إن الطلبة الذين يدرسون فى المعهد ليسوا من أهل المدن وإنما هم من أهل البادية رعاة البقر ، فكان الواحد منهم يأتى فارا من رعى البقر لطلب العلم ، ولا يملك إلا ثوبا ممزقا يستر به عورته ، وليس معه نقود ، ولا يرسل له أهله شيئا منها ، فكان البحث عن طريق لإطعام هؤلاء مشكلة المشاكل .

ولما كان الموسرون منهم يخرجون عن جزء من مال الزكاة كل عام فى رمضان ليوضع فى صندوق للصرف منه فى أوجه البر كعلاج بعض المرضى من الفقراء ودفن من مات منهم ، ومساعدة من أخنى عليه الدهر من التجار ، اقترح عليهم أن يخصصوا لطلبة العلم من مال الزكاة مقدارا شهريا يصرف لهم ليساعدهم على الإقامة فى « أسمرا » لطلب العلم فاستجابوا لذلك ، ثم تأخرت الحالة الاقتصادية فى البلاد ، وقل مقدار الزكاة فقطعوا المساعدة عن طلبة العلم ، فعادت المشكلة مرة أخرى فلجأ مبعوث الأزهر إلى طريقة أخرى ، يعمل بها فى السودان ، وهى توزيع الطلبة على الموسرين من التجار ليأكلوا معهم فى منازلهم .

المدرسون :

لقد كثر عدد الطلبة فى المعهد وزادت الحاجة إلى مدرسين ، ولم يقف الأمر عند معهد أسمرا ، فقد طالب أهل مصوع أيضا بإرسال مدرسين لمعهدهم الذى أنشأه رجل من أصل مصرى يسمى « الحاج أحمد هلال » ثم طالب أهل « كرن » عاصمة إقليم غربى إريتريا بمعاونتهم على إنشاء معهد دينى بعاصمة إقليمهم ليؤتى لهم بعلماء من الأزهر ليعلموا أولادهم اللغة العربية والدين أسوة بأهل أسمرا فتم إنشاء المعهد ولعل الأسباب تتيسر لإمداد هؤلاء بمن يتولى تعليمهم وإرشادهم .

التعليم المدنى :

أما التعليم المدنى فالحكومة الإنجليزية غير مهتمة بتعليم المسلمين ، لهذا أنشأ المسلمون مدرستين إحداهما للوطنيين ، والأخرى للعرب ، وكان يقوم بالتدريس فيها بعض

مكتبتنا العربية

شبان السودانيين الذين نزحوا مع الجيش الانجليزى منذ دخوله إريتريا . ولكن لم يكن للدراسة منهج تسير عليه ، فاقترح عليهم مبعوث الأزهر إنشاء مجلس يقوم بمهمة تنظيم التعليم فى المدارس والمعاهد والإشراف عليه إشرافا يحقق الغاية منه ، فصادفت الفكرة قبولا ، وتألف المجلس برئاسة مبعوث الأزهر ووضعت له لائحة طبعت طبعا منسقا وأدخل المنهج المصرى فى المدارس الوطنية . وبعد عام دراسى جىء إلى مصر ببعثة من الطلبة الإريتريين ليشتركوا فى أداء الشهادة الابتدائية المصرية مع الطلبة المصريين وكان من ثلاثة عشر طالبا ، نجح منهم أحد عشر وأعاد اثنان وهم جميعا الآن فى مدرسة ساحل سليم الثانوية داخليا على حساب وزارة المعارف ، وبعضهم فى السنة الرابعة وبعضهم فى السنة الثالثة ، بل بعضهم فى التوجيهى هذا العام لاختياره امتحان فترتين مرة واحدة كما أباحته لهم وزارة المعارف .

بعوث الطلبة الى مصر :

كان من أهم ما سعى له مبعوث الأزهر إرسال الطلبة إلى مصر لا من أرتيريا وحدها بل من الحبشة أيضاً فأرسل البعض وهو العدد الأكبر إلى الأزهر ، وقليل منهم أرسلوا إلى وزارة المعارف لاشتراك فى امتحان الشهادة الابتدائية المصرية كما تقدم ، ثم أرسلت إلى وزارة المعارف بعثة أخرى مكونة من ثمانية وثلاثين طالبا سنة ١٩٥٠ ثم بعثة ثالثة حضرت مع مبعوث الأزهر فى العام الماضى مكونة من خمسة وعشرين طالبا . وهم جميعا ينتسبون الآن فى الأزهر لعدم قبول وزارة المعارف إياهم بعد قبولها الثلاثة عشر طالبا الذين جاؤا فى البعثة الأولى ، لكنهم يدرسون ليلا فى المدارس مع دراستهم نهاراً فى الأزهر ودراستهم مستمرة فى الناحيتين مع نجاحهم فيهما ، وهـذا يشهد لهم بالذكاء النادر ، والاجتهاد المتواصل .

وقد كان من يحضر إلى الأزهر من الطلبة الارتيريين والأحباش بوساطة التجار الأحباش والسودانيين ، فكان تجار الأحباش يحملونهم معهم من الحبشة إلى إرتيريا ، ثم يحملهم التجار السودانيون من إرتيريا إلى السودان ، وبهذه الطريقة بلغ من حضر من إرتيريا من الطلبة ما يقرب من المائتى طالب ومن حضر من الحبشة منهم ما يقرب من مائة طالب .

إن للأزهر مكانة سامية فى نفوس غير المصريين من المسلمين ، ومتى تمكن الأزهر من استغلال هذه المكانة أفاد الدين الإسلامى إفادة خاصة ، ومصر إفادة عامة تعود عليها بالخير سياسيا واقتصاديا . وأملنا أن يحقق الأزهر هذه الغاية النبيلة فى عهده الجديد حيث يقود أموره الآن مجاهد إسلامى كبير وعالم سلفى عظيم . والله الموفق .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

في مجمع اللغة العربية :

استأنف مجمع اللغة العربية نشاطه يوم ٦ أكتوبر بعد انتهاء العطلة الصيفية ، فعقد جلسة قام فيها فريق من أعضاء المجمع بإلقاء كلمات ترحيب ، تتضمن التكريم الذى لحق المجمع باختيار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخاً للأزهر الشريف ، وقد عددوا مآثر فضيلته ونوّهوا ببحوثه العلمية والدينية ، التى كان لها الأثر الكبير فى النهوض بمختلف الشئون الدينية والعلمية .

العلم والأمل :

قال وزير المعارف فى كلمة أذاعها على الطلبة فى مفتتح العام الدراسى :

« إنكم إذ تتلقون العلم فى مدارسكم ومعاهدكم تعملون ما يعمله الجندى الذى يتدرب فى معسكره لكى يبلى أحسن البلاء فى ميدان الجهاد ، ولكن العلم وحده لا يغنى عن الأمة شيئاً إذا لم تدعمه قوة الأخلاق ونبل النفوس ، كما أن تدريب الجندى لا يغنى عن الأمة شيئاً إذا لم تدعمه قوة الجثمان وشهامة الطبع . ولست أشك أنكم - فى تحقيق هذه الأغراض - ستجدون من أساتذكم خير هداة تسترشدون بهديهم ، وتنتفعون بخبرتهم وعلمهم ، وتتجهون إليهم طالبين النصيحة والعون كلما صادفتكم صعوبة أو قابلتكم مشكلة ، وستلاقون منهم عطف الآباء على الأبناء ، وحرص المربين على كل ما يعود بالنفع على لا طبهم ، وبهذا تتهيأ لكم أسباب النجاح ، وتسعدون بجوّ يسوده النظام والثقة والمحبة ، فتعود بذلك إلى معاهد التعليم قداستها وحرمتها » .

من أدب العلم :

تحدث العالم المكتشف (اينشتاين) إلى طلبة العلم فى نيويورك فى هذا الشهر فقال لهم : « ليس للطالب غنى عن شىء واحد وهو الشعور الفياض بكل ما يقوم على الخير من الناحية الأدبية ، وتقدير لكل ما هو جميل ، فإن لم يفعل ، فانه يكون — مهما اكتملت ثقافته — كالطالب الذى أحسن ذووه تدريبه ، لا كالإنسان الذى تناسقت شمائله وسمت أخلاقه .

« ومما ينبغى للطالب ، أن يدرك الدوافع البشرية ، وما قد يتعرض له العامل المجد من فشل وما يحتمل أن ينتاب الإنسان من كوارث وآلام ، فإذا أدرك الطالب ذلك وتوقعه فانه ستتوطد صلته بالمجتمع .

مكتبتنا العربية

« وهذه السجايا لا يمكن أن تثبت فى نفوس النشء إلا بوسيلة واحدة وهى (القدوة الشخصية) لا من طريق الكتب وحدها . وهذه هى الوسيلة التى تؤدى إلى قيام الثقافة الصحيحة ، والسير بها نحو الكمال ».

وختم حديثه بقوله : « إن هذا الطراز من الثقافة قد يقضى عليه روح التنافس فى دراسة معينة لا يتمكن صاحبها من أن ينهل من معين المعرفة الشاملة الذى لا ينضب والبحث القائم على النقد الصحيح وتوخى الحقيقة ».

منابع ثقافة الامريكيين فى الشرق الاوسط

عاد الدكتور سليمان حزين مدير الثقافة العامة بوزارة المعارف من رحلته الطويلة فى الولايات المتحدة التى استغرقت شهرين وبعد أن شهد الاحتفال المئوى للجمعية الجغرافية الامريكية فى المؤتمر الجغرافى الدولى الذى عقد فى واشنطن ، وبعد أن زار الجامعات الامريكية إجابة للدعوة التى نظمت طبقاً لبرنامج رسمى مرسوم ، اقتنع بأن الامريكيين أخذوا يغيرون رأيهم فى منابع ثقافتهم ، فبعد أن كانوا معتقدين فى أول الأمر أنها ترجع إلى غرب أوربا ، أخذ الجامعيون منهم وقادة الفكر يكتشفون الحقيقة التى تأخروا فى اكتشافها ، وهى أن جذور الثقافة الامريكية تمتد إلى أعمق من ذلك بكثير ، وأنها ترجع إلى هذا الشرق الاوسط ، ولذلك بدأ اهتمامهم بالشرق الاوسط يتزايد باستمرار .

مكتبة عربية بجامعة درهام :

تعتزم جامعة « درهام » إنشاء مكتبة عربية ينتظر أن تصبح أكبر مؤسسة من نوعها فى بريطانيا . وتقوم الجامعة الآن بالاتصال بالمعاهد العربية والناشرين والمكتبات العربية للحصول على بيانات عن المؤلفات المنشورة بالعربية . وكان أحد وزراء المعارف السابقين قد وعد هذه الجامعة بإهدائها طائفة من الكتب العربية القيمة .

الاضطراب فى الحياة الجامعية :

يقول عميد كلية الآداب فى جامعة الإسكندرية : إن الاضطراب الذى أصاب الحياة الجامعية فى السنوات الأخيرة كان السبب الأكبر فيه سوء النظام المالى وكثرة درجات السلم الجامعى ، مما شغل فريقاً من أعضاء هيئة التدريس بشئون الأقدميات والترقيات المتعاقبة ، ومما اضطر بعضهم إلى الدخول فى خصومات قضائية . ولو أن الجامعة وفقت إلى تبسيط وظائفها لاستقام كثير من الشئون ، ولتفرغت هيئة التدريس لعملها الأصيل فى البحث والكشف العلمى .

حلقة الدراسات الاجتماعية :

تعقد فى دمشق اجتماعات حلقة الدراسات الاجتماعية الثالثة من ٨ ديسمبر القادم إلى ٢٠ منه ، وتشترك فى ذلك دول الجامعة العربية . ولما كان ميثاق الجامعة ينص على أن تمثل الدول العربية غير المنضمة إلى الجامعة فى

مكتبتنا العربية

اللجان الثقافية والاجتماعية ، فقد طلبت الحكومة السورية من الجامعة العربية دعوة تونس والجزائر والمغرب الأقصى إلى إرسال مندوبين عنها لحضور اجتماعات هذه الحلقة .

التعليم الفنى المتوسط :

قال الدكتور « توماس هارت » مدير برامج النقطة الرابعة فى المملكة العربية السعودية واليمن : إن الحاجة ماسة فى الشرق الأوسط إلى التعليم الفنى المتوسط لملء الفجوة الناشئة بين أصحاب المهن الفنية والسكان العاديين .

كان الدكتور توماس هارت قد شهد أخيراً المؤتمر الذى عقد فى جامعة بيروت الأمريكية لبحث المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأوسط وعاد بعد ذلك إلى واشنطن .

السينما بوزارة المعارف :

فى الإدارة العامة للنشاط الرياضى والاجتماعى بوزارة المعارف المصرية قسم خاص عنوانه (مراقبة السينما والتصوير) كان المفروض أن تكون مهمته العناية بالسينما الثقافية وتوسيع نطاق الإفادة منها فى تهذيب الأخلاق ، وتوثيق صلة رجال الغد بأمجاد الماضى ، بإحياء مفاخر التاريخ الإسلامى والعربى والمصرى ، وزيادة معارف الطلبة بالأقطار العربية الشقيقة والأوطان الإسلامية بعرض مشاهدها ، وتبادل الأفلام معها ، فتزوّد الأقطار الشقيقة بما يزيدها معرفة بمصر ، كما تعنى بزيادة معلومات النشء المصرى عن الأقطار المشاركة له فى اللغة والدين ، والاستئناس بمعالمه وعمرانه ومناظره الطبيعية وعادات أهله وأزيائهم وسائر أحوالهم . ومما يؤسف له أن هذه النواحى آخر ما كان يخطر على البال من مهمة مراقبة السينما بوزارة المعارف فى مراحلها السابقة ، فلما دبت الآن روح الحياة فى المرافق المصرية ، التفتت الأنظار إلى ناحية السينما الثقافية فى وزارة المعارف ، ولعل وزارة الإرشاد القومى المزمع إنشاؤها قريباً ستضع الأمور فى نصابها من هذه الناحية على النحو الذى أشرنا إليه فى هذه الكلمة .

حركة المطالعة فى مصر :

تردد على دار الكتب المصرية وأقسامها المختلفة خلال شهر سبتمبر : ٩١٢٥ ، وعلى فروعها ١٤٢٧٥ ، وبلغ عدد الكتب التى صرفت للمطالعة داخل الدار وفروعها ٢٧١٣١ والتى أعيرت لخارج الدار وفروعها ٦٣٥١

وبلغ عدد ما اقتنته الدار من كتب فى ذلك الشهر ٧٤٤ منها ٥٩١ باللغة العربية واللغات الشرقية و ١٥٣ باللغات الأوربية .

والمواد التى أقبل المطالعون على مطالعتها هى أولا : الأدب والقصص ، ثم التاريخ والجغرافيا فالعلوم الاجتماعية والعلوم المفيدة فالعلوم البحتة والفلسفة وعلم النفس والمراجع العامة والديانات والفنون الجميلة .

مكتبتنا العربية

العالم الإسلامي في شهر

قضية تونس

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها السابعة في مبناها الجديد المطل على النهر الشرقي في نيويورك ، وكانت ثلاث عشرة دولة عربية وآسيوية قد أعدت عدتها قبل ذلك لدراسة أفضل الطرق التي ينبغي لها اتباعها لعرض النزاع القائم بين تونس وفرنسا على الجمعية العامة وإقناعها بالنظر فيه ، ولعل أهم ما ستطالب به الجمعية العامة إيفاد لجنة من مراقبي الهيئة لدراسة الموقف في تونس والتقدم إلى الأمم المتحدة بالتوصيات التي تراها مناسبة لحل النزاع الذي يعرض السلام العام للخطر .

وكانت الحكومة الفرنسية قد قررت أن يدفع وفدها بعدم اختصاص الجمعية العامة في نظر هذا النزاع ، وهي تستند في هذا القرار إلى المبدأ الذي ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة ويقضي بعدم تدخل الأمم المتحدة في الشئون الداخلية لأية دولة هي عضو في هذه الهيئة الدولية . واعتبار قضيتي تونس والمغرب الأقصى من الشئون الداخلية لدولة فرنسا متفرع عن العقلية الاستعمارية البالية التي لا يزال بعض الناس يعيشون عليها حتى في إنكار حق الحياة القومية على أمة كالأمة التونسية لها حكومة وعرش وكيان دولي من قبل أن يكون لها أي علاقة بفرنسا .

وسلوك فرنسا هذا السبيل في الدفاع أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة تحتاج فيه إلى موافقة أكثرية ثلثي أعضاء الجمعية العامة على وجهة نظرها ، وهي أكثرية لا تقل عن أربعين دولة . وقد كان مفهوماً أن فرنسا لن تحصل على هذه الأكثرية ولا على نصفها لأن الدول العربية والإسلامية والآسيوية ووفود أمريكا اللاتينية وبعض الوفود الأوربية وحتى الولايات المتحدة والكتلة السوفيتية ، تبين أنها تكون في الجانب الذي تكون فيه هزيمة هذا المنطق الاستعماري .

وقد سافر إلى نيويورك السيد صالح ابن يوسف وزير العدل التونسي على احتمال أن الجمعية العامة قد تطلب منه أن يدلي ببعض البيانات .

وإدراج القضايا في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم به لجنة التوجيه التي تتألف من ١٥ عضواً هم نواب الرئيس ورؤساء اللجان المتفرعة عن الجمعية .

مكتبتنا العربية

وقد فازت مصر أخيراً بالمقعد السابع فى هذه اللجنة التى اجتمعت يوم ١٥ أكتوبر وقررت الموافقة على إدراج مشكلتى تونس والمغرب الأقصى فى جدول الأعمال ، رغم احتجاجات المندوب الفرنسى ، الذى أعلن أن فرنسا ستقاطع المناقشة التى ستجرى فى الجمعية العامة بشأن السياسة التى تنتهجها فى محميتها بأفريقيا الشمالية .

قضية المغرب الأقصى :

أصدر القصر الملكى فى المغرب الأقصى بياناً بلسان ملك البلاد يصارح فيه أمته بالأدوار التى مرت على القضية منذ زار باريس سنة ١٩٥٠ إلى الآن ، وقد جاء فيه ما يأتى :

« كان القصد الجوهرى من زيارتنا لباريس فى سنة ١٩٥٠ هو أن نقدم للحكومة الفرنسية مذكرة أوضحنا فيها أن القضية المغربية ليست قضية إصلاحات جزئية تحقق فى نطاق النظام القائم ، ولكنها قضية شعب يطالب بوضع نظام جديد يساير آماله ، ويتلاءم مع الظروف العالمية الجديدة .

« وقد ردت حكومة الجمهورية الفرنسية على مذكرتنا فى ٣١ اكتوبر ١٩٥١ بأن تعديل النظام القائم سابق لأوانه ، واقتصرت على عرض إصلاحات جزئية داخل نطاق الحماية .

« ولما لاحظنا التباين بين وجهة نظرنا ووجهة نظر الحكومة الفرنسية ، بالإضافة إلى الأزمة الشديدة التى زجت بالعلاقات المغربية الفرنسية فى مأزق حرج ، وكذلك وقف المباحثات - التى كان أملنا أن نفتح باب الدخول فيها واجهنا - حكومة الجمهورية الفرنسية بمذكرة أخرى فى ١٤ مارس ١٩٥٢ أوضحنا فيها - على ضوء تجربة الأزمة - أن أسلم حل للقضية المغربية هو تحديد العلاقات بيننا تحديداً جديداً يضمن للمغرب سيادتها وللفرنسيين المقيمين بها حقوقهم المشروعة فى نطاق التعاون المثمر بين البلدين ، وذلك فى الميادين الاقتصادية والثقافية والدولية ، ويحافظ على حقوق الأقليات الأجنبية الأخرى .

« وقد اقترحنا لأجل الوصول إلى هذه الغاية :

١ - تطهير الجو السياسى فى المغرب .

٢ - منح الحريات العامة والخاصة ، وخصوصاً الحريات النقابية .

٣ - تأليف حكومة مغربية مؤقتة يناط بها أن تدخل - تحت إشرافنا - فى مباحثات مع الحكومة الفرنسية لوضع اتفاق جديد بين المغرب وفرنسا .

« وكانت مقترحاتنا ترمى إلى غاية مثالية هى السماح للشعب المغربى بأن يمارس شئون بلاده بنفسه بواسطة برلمان وحكومة دستورية ، على نحو ما تقضى به أساليب

مكتبتنا العربية

الديمقراطية الحديثة . وإن إنشاء مثل هذا النظام لما لا يتعارض مع استمرار التعاون المغربى الفرنسى .

« وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ قدمت إلينا الحكومة الفرنسية عن طريق المقيم العام - ردها على مذكرة ١٤ مارس ، وسردت فى القسم الأول من ردها كل ما حققته الحماية فى مختلف الميادين ، وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليم والصحة والتجهيز الاقتصادى والصناعى . وفى القسم الثانى عرضت برنامجاً للإصلاح تتلخص معالمه الكبرى فى تكوين مجالس جماعات إدارية فى البوادى ، وإنشاء مجالس بلدية مختلطة فى المدن ، ومجالس فرنسية مغربية فى المراكز البدوية ، الأمر الذى يعطى للفرنسيين المقيمين فى المغرب حق التقدم للانتخابات على قدم المساواة مع المغاربة أهل البلاد . وفيما يتعلق بالسلطة التنفيذية أشار الرد الفرنسى إلى وجود مجلس الوزراء والمندوبين الفرنسيين الذى تكوّن سنة ١٩٤٧ ، واقترح الرد أن ينضم السكرتير العام للحماية - وهو فرنسى - إلى المجلس ليقوم بمساعدته باعتباره رئيساً للإدارة . وكان من المفروغ منه فى الرد الفرنسى أن الإدارة فى المغرب ذات طابع مختلط ، أى أنها فرنسية مغربية تسير تحت إشراف السلطات الفرنسية ، أما فيما يتعلق بالتنظيم القضائى فقد وعدت الحكومة الفرنسية بأن تقدم إلينا نصوصاً تشريعية حوله فى وقت قريب .

« ومن المهم أن نلاحظ أن برنامج الإصلاح الفرنسى لا يشتمل على أى عنصر جديد ، فقد صدرت المراسيم الخاصة بمجالس الجماعات فى يونية سنة ١٩٥١ وبدأ العمل بها فعلا ، كما قدم مشروع البلديات إلى لجنة مغربية حكومية لدراسته فى ٨ مايو سنة ١٩٤٨

ثم قدم إلى مجلس الوزراء لبحثه فى ٢٦ يونيه ١٩٥١ فرفض العمل به لأن من شأنه أن يمس السيادة المغربية التى تضمن المعاهدات الدولية حمايتها . وفيما يتعلق بإصلاح الأداة القضائية سبق أن قدم فيه المقيم العام مشروعا سنة ١٩٤٧ فألفت الحكومة المغربية لجنة فنية ردت عليه بمشروعات مضادة . ولم يشر الرد الفرنسى فوق ذلك إلى المشروعات التى قدمناها فى ١٤ مارس ١٩٥٢ فيما يتعلق بتأليف حكومة مغربية ومنح الشعب بعض الحريات الجوهرية التى لا يتمتع بها كالحق النقابى . وبالاختصار عبرت الحكومة الفرنسية عن تصميمها على تدعيم معاهدة الحماية ، وقدمت إلينا برنامجا للإصلاحات ، ولفتت نظرنا إلى أن هذه الإصلاحات وحدة صادرة عن فكرة متجانسة ، وبذلك يتمثل فيها كل غير قابل للتجزئة . وأخيرا أبدت الحكومة الفرنسية استعدادها - فى حالة التسليم بقبول مبدأ هذا الإصلاح واتجاهاته -

مكتبتنا العربية

لأن تعلن نشأة الصداقة المشتركة والمصالح المتداخلة ، لتقوم على أساس ذلك فى المستقبل العلاقات بين فرنسا والمغرب دون ماتعرض إلى السلطات المادية التى نصت عليها معاهدة ٣٠ مارس سنة ١٩١٢

« وقد أبدينا فى الرد الذى قدمناه إلى الحكومة الفرنسية فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ أسفنا العميق لما لاحظناه من عدم أخذ الحكومة الفرنسية بمقترحاتنا ، كما لفتنا أنظارها إلى أن مشروعات الإصلاح التى قدمتها إلينا ترمى بصفة عملية - فى مفهومها ومنطوقها - إلى تصديع السيادة المغربية » .

قضية كشمير :

يقول السيد محمود حسين الوزير الباكستانى لشئون كشمير فى حديث أدلى به فى مدينة (دكا) : « إن اقتراحى نزع السلاح وتعيين مدير لعملية استفتاء فى كشمير قد بحثا كثيراً حتى الآن ولكن بلا جدوى . ولو أن استفتاء نزيها أجرى فى كشمير ، فإن مما لا يتطرق إليه الشك أن الأكثرية الإسلامية الساحقة التى يتألف منها سكان كشمير ستطالب بالإجماع الالتحاق بأمها باكستان . ومانشرته صحف الهند من أن الباكستان تحاول إرسال بعض القبائل إلى كشمير لا نصيب له من الصحة ، لأن باكستان تسعى للوصول إلى حقوق كشمير بالوسائل والحلول السلمية ، ولا حاجة بحكومة باكستان ولا بمسلمى كشمير إلى استعمال القوة .

« فعلى مجلس الأمن أن يتخذ فى هذه القضية الواضحة حلا نهائياً حاسما ، لأن هنالك حداً لصبر البشر ، ومن الحكمة أن لا يستنفد الصبر بتجاوز حدوده » .

وقد جاء بعد هذا أن مجلس الأمن دعى إلى الانعقاد لدراسة تقرير الدكتور جرهام عن محادثات كشمير . وقد مر وزير خارجية باكستان بمصر فى طريقه إلى نيويورك لحضور الدورة السابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وليكون على مقربة من مجلس الأمن وهو يبحث قضية كشمير .

المسعى لكسب مباديء :

زار الوطن المصرى فى الشهر الماضى بمهمة رسمية الدكتور أحمد سوبارجو وزير خارجية أندونيسيا السابق والسفير فوق العادة . وبعد اتصاله بأهل الرأى صرح بأنه مرتاح لنتائج زيارته لمصر ، ومسرور لما يرجو من توثيق العلاقات بين البلدين ، ومن بينها العلاقات التجارية . وقد دعا المسئولين فى مصر إلى زيارة أندونيسيا ، لأن فى تبادل مثل هذه الزيارات ما يقرب بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها .

ويقول الدكتور سوبارجو فى حديث له مع مندوب جريدة (الأهرام) : إن

مكتبتنا العربية

أندونيسيا - بحكم موقعها الجغرافى - تشعر كسائر دول الشرق الأقصى بوطأة الصراع المحتدم فى تلك المنطقة بين الكتلتين الشرقية والغربية . وأندونيسيا دولة ناشئة تحتاج إلى السلام لتتفرغ للإنشاء والتعمير فى ربوعها، لذلك كان من مصلحتها الوقوف على الحياد فى الحرب الباردة بين المعسكرين ، كما ترى من مصلحتها الوقوف على الحياد كذلك - إذا استطاعت - عند وقوع حرب مسلحة . قال : ولكننا لا نستطيع ذلك بمفردنا ، لذلك تحاول الاتصال بالدول التى تشاركنا فى أهدافنا وأمانينا .

ثم قال : إن دول الكتلتين لا تريد الحرب وفى رأينا أن قيام كتلة حيادية - أى من أمثال حكومات الشرق الأقصى والأوسط - قد يؤدى إلى منع وقوع الحرب ، أو على الأقل إلى تأجيل وقوعها .

وتحدث عن أهمية الاستقلال الاقتصادى لتحقيق الاستقلال السياسى وقال : إن أندونيسيا ينص دستورها على أن الاستعمار مضى زمنه ، وكان من أسباب وقوع الحروب . وهذه النظرية نستوحيها فى سياستنا العملية .

أمريكا بين العرب واليهود :

ألقى الدكتور . والتر والبانك ، أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا ، محاضرة نفيسة عن الشرق ، أصغى إليها خمسمائة من أساتذة الجامعة وكبار المفكرين الأمريكيين والمهتمين بشئون الشرق الأوسط . والدكتور والتر والبانك كان فيما مضى أستاذاً بجامعة القاهرة ، وطاف بلاد الشرق الأوسط ووقف على حقائقها . وقد وصف فى محاضرته الحالة الاجتماعية فى مصر . ثم انتقد موقف الولايات المتحدة فى الماضى من إسرائيل وقال : إن هذا الموقف لم يكن عادلا ولا حكيما ، وإن أمريكا بسياستها ساعدت على طرد ٨٠٠ ألف عربى من بلادهم لقوى بعض الصهيونيين الذين سيتخلص منهم العرب فى يوم ما . وانتقد أن تعطى أمريكا مساعده مالية لإسرائيل تساوى مجموع المساعدات المالية التى تعطيها للبلاد الأخرى مجتمعة . وتساءل : لماذا نخسر صداقة العرب لنكسب صداقة أشخاص سوف ينقلبون على أمريكا فى أى لحظة ؟ ولماذا نمدهم بالأسلحة ونكون السبب فى إشعال نار الحرب فى الشرق الأوسط .

ومما قاله : إن بعض المصريين كان يلقى علىّ أسئلة لا أستطيع الجواب عليها ، ومن هذه الأسئلة موقف أمريكا من إسرائيل ، ومعاملتها للزنوج ، وموقف أمريكا السابق من تأييد السياسة البريطانية . وختم محاضرته بالتحدث عن الفجر الجديد فى ظلام مصر بقيام الجيش لتحرير مصر من الفساد والطغيان ومستغلى النفوذ والأحزاب الفاسدة . وتوقع قيام حركة إصلاح حقيقية ذات خطة مرسومة وسريعة .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

تجديد الحرم النبوى :

عادت من الحجاز البعثة الهندسية التى كانت الحكومة المصرية قد أوفدتها إلى المدينة المنورة لاختبار طبقات التربة فى أساس الحرم النبوى الشريف الذى قدرت تكاليف تجديد بنائه بنحو أربعة ملايين جنيه تكفل بها الملك عبد العزيز السعودى من جيبه الخاص .

ويقوم المختصون الآن بتجارب فى معمل ميكانيكا التربة فى كلية الهندسة تمهيداً لإجراء التصميمات اللازمة للأساس . وقد سبق إعداد التصميمات والرسوم الخاصة بمبانى الحرم ومنشآته ومآذنه .

والمفهوم أن هذا المشروع العمرانى العظيم يستغرق أربع سنوات ، وسيكون الحرم المدنى الشريف بعد إتمامه أعظم مسجد إسلامى فى العالم وأفخمه .

وقد شرع من الآن فى إخلاء بعض المبانى المحيطة بالحرم ، كما بوشر إخلاء بعض الأجزاء الداخلية من الحرم نفسه .

حماية المسجد الأقصى :

اجتمع مجلس إدارة الشبان المسلمين فى الإسكندرية وبحث مسألة حماية المسجد الأقصى ، لمناسبة ما يقوم به اليهود من حركات وجهود عسكرية وسياسية فى بيت المقدس فنقلوا إليها وزارة خارجيتهم من تل أبيب وحشدوا قواتهم فى مشارف القدس القديمة والمسجد الأقصى وأنشأوا المعاقل فى جبل الزيتون مخالفين فى كل ذلك العهود والمواثيق التى دانوا بها للجنة الهدنة وهيئة الأمم المتحدة . والجمعية تستصرخ كل مسلم فى أن يرفع صوتها ليبلغ مسامع ممثلى الدول الإسلامية لتنقله إلى حكوماتها راجية أن تبذل الحكومات الإسلامية كل ما يسعها من جهد لوقف هذا العدوان .

مرافق الحجاز :

يقول السيد الحسينى الخطيب أمير الحج المصرى ووزير مصر المفوض فى الحجاز : إن ولى عهد المملكة العربية السعودية أبدى رغبة حكومته فى إنشاء مهندسين ، وبوليس مرور ، وعمال ، ومدرسين من مصر ، للنهوض بمرافق الحجاز والمملكة العربية السعودية . وافتتح ولى العهد - وكان بصحبته أعضاء بعثة الحج المصرية - عدة مستشفيات جديدة أنشئت فى المملكة العربية السعودية يديرها ويرأسها أطباء مصريون . ومن هذه المستشفيات واحد لعلاج الأمراض النسائية هو الأول من نوعه هناك . كما أنشئت هناك مصحات كثيرة لعلاج ضربة الشمس . وصدرت

مكتبتنا العربية

الأوامر بإنشاء مجموعة كبيرة من المظلات الواقية من أشعة الشمس فيما بين منى وعرفات. وقد أبدى ولى العهد رغبة فى إنشاء خط ترام كهربائى بين جـــدة ومكة والمسافة بينهما ٧٥ كيلو متراً، على أن تساهم فى هذا المشروع رءوس الأموال الإسلامية. وأن تطرح مناقصة عملية إنشائه فى البلاد الإسلامية وحدها، قال أمير الحج: وينتظر تنفيذ هذا المشروع قريباً.

الجلاء عن كوبرى الفردان:

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الجمعة ١١ أكتوبر انسحبت القوة البريطانية التى كانت تحتل كوبرى الفردان الذى يمر عليه الخط الحديدى عبر قناة السويس ويوصل إلى شبه جزيرة سينا. وفى الساعة الثانية عقب ذلك كانت قوة من رجال الجيش المصرى تحتل هذا الكوبرى وتقوم على حراسته.

فراديس فى البحر الاحمر:

لفت الدكتور محمد طلعت طه الأنظار إلى فراديس مهملة لا يحفل بها إلا قلة من أغنياء الأجانب فى مصر، وهى جزر متناثرة فى خليج السويس وقرب الشاطىء المصرى للبحر الاحمر. وأهم تلك الجزر: شدوان، وجزيرة الأخوين، والزبرجد، وهى جزر جبلية ذات سفوح متدرجة إلى شواطىء رملية بديعة كثيرة الخلجان وجوها ساحر بديع صيفاً وشتاء، فالشمس ساطعة طول العام والريح مستمرة ومنتظمة، مما يتيح استخدامها لإدارة طواحين هوائية متصلة بمولدات الكهرباء التى تنتج تياراً كهربائيا للإضاءة والطهى وتقطير الماء العذب من ماء البحر وكافة الأغراض الحيوية والصناعية. وتمتاز هذه الجزر بدفئها شتاء واعتدال هوائها صيفاً فهى مصيف ومشتى. بل تصلح مصحاً عالمياً لتوافر الأوزون (أى الاوكسيجين الذرى) فى جوها. وتزخر خلجانها بكميات هائلة من الأسماك الكبيرة قال فخبذا لو بذلت الدولة جهداً فى تعميرها وإعدادها والإعلان عنها.

صناعة البترول فى مصر:

تعنى مصلحة الوقود المصرية الآن بتوسيع معمل تكرير البترول الاميرى فى السويس، وستنتهى من إقامة المبانى والمرافق الجديدة فى هذا العمل فى أواخر سنة ١٩٥٣ ثم تنتظر منه إنتاجا سنويا لا يقل عن مليون ونصف مليون طرة من المواد البترولية الصالحة للاستهلاك، وإذا أضيفت هذه الكمية الضخمة إلى ما تنتجه شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية استغنت مصر بذلك عن استيراد البترول من الخارج، اللهم إلا القليل من الكيروسين لضخامة المطلوب منه للاستهلاك الشعبى.

والحكومة تستعد لتسليم بئر وادى فيران بمنطقة سيناء، التى تم كشفها عام ١٩٤٩ ولم

مكتبتنا العربية

تستغل حتى الآن ، إلى الجمعية التعاونية المصرية للبترول لتستغلها على حساب الحكومة . وقد منحت هذه الجمعية ١٦ ترخيصاً بالبحث عن البترول ، وأعطيت الشركة الأهلية المصرية ١٠٦ ترخيص بالتنقيب ، ولدى شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية وشركة سوكونى فاكوم ٦١ ترخيصاً ، ومنحت إحدى الشركات الفرنسية ٥٢ ترخيصاً . وسياسة مصر البترولية قائمة على حرية المنافسة . وإن صدور قانون المناجم بعد تعديله طبقاً لمقترحات غرفة المناجم والمحاجر سيبطل حجة تعطيل أعمال التنقيب فى بعض المناطق ، ويبدأ العمل بأوسع نطاق .

ميزان مصر التجارى :

يقول الأستاذ محمود كامل المحامى : إن مجموع ما استوردناه فى سنة ١٩٥١ يبلغ ٢٧٩٫٥٩٤٫٠٠٠ من الجنيهات ، ولم نصدر فى ذلك العام إلا ما قيمته ٢٠٣٫٠٨٠٫٠٠٠ ج وليس هذا الاختلال فى ميزاننا التجارى مقتصراً على عام ١٩٥١ ، فقد حدث ذلك فى كل سنة من السنوات الخمس الأخيرة حتى بلغ مجموع الخسارة التى منى بها الاقتصاد القومى فى هذه الفترة نحو مائتى مليون جنيه. ولا يمكن علاج مأساة الدخل القومى إلا على أساس موازنة الواردات بالصادرات ، وهذا لا يمكن - مع التوسع فى الرى والزراعة - إلا بوضع سياسة ثابتة على أساس برنامج مدروس لتصنيع مصر . وإذا ارتفع مجموع المستثمر فى الصناعة فتوسط دخل المواطن المصرى سيتضاعف بضع مرات ، أو بالتالى سيقترب هذا المواطن من الحياة الكريمة التى يحياها المواطنون فى الدول المتحضرة .

ومما يخطر على البال فى معالجة الاختلال فى ميزاننا التجارى أن يعمل المعلمون على التقريب بين قيمة الواردات والصادرات بمكافحة استيراد الكماليات وأدوات الترف والبذخ ، ورسم سياسة قوية لحمل الأمة على الاستغناء عنها من طريق الإرشاد الأدبى ، والترغيب فى الحياة الاقتصادية المعتدلة ، مع التوسع بزيادة الرسوم الجمركية على بعض الأصناف والمنع القطعى لاستيراد البعض الآخر ، إلى أن يتساوى ميزاننا التجارى ، وتضمحل نهائيا هذه الخسارة السنوية من زيادة الواردات بما يزيد على سبعين مليون من الجنيهات .

وادى الريان :

كان المهندس «سيريل فوكس» قد حضر إلى مصر وزار موقع وادى الريان وكتب عنه تقريراً نفى فيه أن يترتب أى خطر على مديرية الفيوم لو نفذ مشروع تخزين المياه فى وادى الريان ، ومع ذلك فإن المختصين فى الحكومة المصرية لم يقطعوا برأى نهائى فى هذا الأمر ورأوا أن يستدعوا خبراء آخرين للاستئناس برأيهم . وسيصل إلى مصر فى ديسمبر القادم ثلاثة خبراء من سويسرا وأمريكا وانجلترا لدراسة هذا المشروع العمرانى الكبير .

مكتبتنا العربية

القانون الأساسى لولاية طرابلس :

صدر القانون الأساسى لولاية طرابلس مؤلفاً من ٩٠ مادة ، مصرحا بأن دستور ليبيا يعد القانون الأعلى للولاية ، وينص على :

١ ـ أن الوالى يمثل الملك ، وهو مسئول عن جميع السلطات والامتيازات .

٢ ـ أن الملك ـ بمشاورة الوالى ـ يعين المجلس التنفيذى المكون من نظار العدل والداخلية والمعارف والأشغال والمالية والزراعة والمواصلات والسياحة ، وهو مسئول أمام الملك والمجلس التشريعى .

٣ ـ يتولى السلطة التشريعية الوالى ومجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، ثلاثون منهم منتخبون ، وعشرة يعينهم الملك بمشاورة الوالى .

الاعتراف باستقلال المغرب :

تدور المباحثات بين الحكومات العربية والإسلامية والآسيوية حول الاعتراف باستقلال المغرب الأقصى ، عملا بمعاهدة ٧ إبريل ١٩٠٦ التى أبرمت بين حكومة المخزن و ١٦ دولة أجنبية اعترفت بسيادة المغرب واستقلاله ووحدة أرضه وحريته الاقتصادية ، وعملا بمعاهدة الجزيرة الخضراء التى أخذت بها محكمة العدل الدولية فى ٢٧ أغسطس من هذه السنة .

الوصاية والاستعمار :

طلبت الهند من محكمة العدل الدولية أن تصدر قراراً فيما إذا كان يجوز للدول التى تتولى الوصاية على بعض المستعمرات بالنيابة عن الأمم المتحدة ، أن تدمج هذه المستعمرات مع مستعمراتها المجاورة لها تحت حكم واحد ، وتتهم الهند كلا من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا بإدماج المناطق التى تتولى هذه الدول الوصاية عليها بالنيابة عن الأمم المتحدة على مستعمراتها الخاصة ، ولم تزل مشكلة إدارة المستعمرات التابعة للأمم المتحدة معروضة على الجمعية العامة منذ بضع سنوات . وترى الدول الاستعمارية المتهمة من الهند بهذا العمل ، أن إدماجها مستعمرات الوصاية بالمستعمرات الخاصة يسهل عليها مهمة الوصاية ، ولكن الهند ومعها بعض الدول الآسيوية الأخرى ترى أن هذه الحجة إن هى إلا ثوب ملفوف يخفى تحته حقيقة الاستعمار ، وذلك مما لا يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة .

ايران وبريطانيا :

أذاع الدكتور مصدق رئيس الوزارة الإيرانية فى يوم ١٦ أكتوبر بيانا أعلن فيه قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وبريطانيا وقال إنه اضطر إلى ذلك لأن الحكومة البريطانية حالت دون الوصول إلى اتفاق بشأن النزاع حول البترول . ومما